

مجلة أدبية شهرية

تصدر عن رابطة الأدباء الكويتيين منذ عام 1966

العدد 653 - ديسمبر 2024



للفنان التشكيلي محمود أشكناني - الكويت



حميدي المطيري:
إنجازات متواصلة
لرابطة الأدباء..
و«مفاجآت» قريبة

17-16



عبدالله السبب:
فاجعة غزو
الكويت أوجدتني
في ميداني
الحرب والشعر

11-8



باحثون وكتّاب تحدثوا
لـ «البيان» عن تجربة
العواصم الثقافية العربية

7-4

ضوء الذاكرة

ثقافة السلام ضرورة للتنمية المستدامة، والتفكير السليم حوله يبني على قواعد أهمها أن يقوم على الاحترام المتبادل، والأصل فيه هو إجماعنا حوله، وأنه ضرورة وحاجة تاريخية ومسار متواصل يقوم على التربية والتعليم، وهو ثقافة أساسها التربية والتعليم، علينا جعله ثقافة معيشة وشكلا جوهريا أساسيا من أشكال الوجود».

عبدالعزیز سعود الباطین (يرحمه الله)
(جريدة القبس - 8 سبتمبر 2017)

«التخطيط الثقافي في العالم العربي مطالب بوضع برامج أساسية تهتم بكشف حقيقة الفكر الرجعي المتخلف، وعلاقته بالسياسة، وإشاعة الفكر المستنير الذي يقدم للشباب العربي الحقائق عبر أطر معرفية منهجية تعتمد على مرجعيات عدة دون التقيد بمصدر واحد، كما هو شأن كل محاولة منهجية للمعرفة، فضلا عن توفير المصادر الثقافية والمعرفية، وإتاحتها بالنشر الواسع والبحث، لتأكيد أهمية التنوع الثقافي الخلاق في مسيرة المعرفة البشرية نحو المستقبل، وعلى دور هذا التنوع الثقافي في القضاء على الهيمنة أحادية القطب أياً كانت».

د. سليمان العسكري
(مجلة العربي العدد 600)

«التحول الذي طرأ على الموقف السياسي في الكويت انعكس على النشاط الثقافي والأهلي، فبرزت أفكار وآراء جديدة على الساحة الثقافية، فتم افتتاح مركز الشيخ جابر الأحمد الثقافي، وبه دار الأوبرا، ومسرح عبدالحسين عبدالرضا، بعد أن توقف بناء المسارح عشرات السنين، ومركز الشيخ عبدالله السالم، لاحتوائه على عدة متاحف، وعلى الرغم من هذه المشاريع الثقافية الكبيرة، لا يزال الوضع الثقافي في مرحلة أقل من المطلوب، بسبب وجود الرقابة الصارمة على المطبوعات والعمل الفني».

د. عبدالله القتم
من كتابه «مراحل التطور الثقافي في الكويت»

«تحتاج المدرسة إلى انتفاضة حقيقية تضعها في مسار المدرسة المعلوماتية المنتجة للعلم والمعرفة والثقافة، الدافعة للخلق والإبداع، لا تلك التي تجتز المعلومات، وتؤبد الماضي، وتعمل على غرسه غرساً في عقول الأطفال والناشئة. إن المدرسة الحالية لن تستطيع النهوض الحضاري بالأمة إلا من خلال وثبة حقيقية تنفض عنها غبار الزمن وأشباح الماضي. حينها ستكون قادرة على المشاركة في التنمية والنهوض الحضاري، مستندة إلى ما توافرت لها من سياسات مجتمعية رشيدة تضمن لها دورها الحيوي».

د. علي أسعد وطفة
مركز دراسات الوحدة الوطنية

المحتويات

كلمة البيان

الثقافة.. محرك المسارات المنجزة 3

استطلاع

«العواصم الثقافية».. احتفاء بالآرث الحضاري رغم

تحديات الواقع السياسي والبنى التحتية 7-4

حوار

• عبدالله السبب: فاجعة غزو الكويت أوجدتني

في ميداني الحرب والشعر

- هشام أركيخ 11-8

مقابلات

• ثقافات العالم وأدابه في معرض الكويت

الدولي للكتاب

- حجاج سلامة 15-12

• حميدي المطيري: إنجازات متواصلة لرابطة

الأدباء.. و«مفاجآت» قريبة 17-16

ضوء

• الغرافيتي.. صرخة غزة المكتومة

- إسماعيل الغراز 19-18

• غسان كنفاني يجسد الوهم

- عبدالهادي شعلان 21-20

نقد

• قراءة في «السقوط من جنة الأسماء» للروائية

تسنيم الحبيب

- حسام القاضي 23-22

• قراءة في «الريح ترفع أسماعها» للروائية

رشيدة الشارني

- محمد الحباسي 27-24

رؤى

«تمارين في الأسلوب» بين الدراما والسرد

- فتحية الحداد 29-28

دراسة

تجسيد الواقع الاجتماعي والثقافي في الأدب

الكويتي المعاصر

- د. محمود مصطفى حلمي 31-30

ترجمة

• أدب الذكاء الاصطناعي - جينيفر بيكر

- ترجمة: أمير الوصيف 33-32

«بيت الترجمة»

• بين ما نكسبه في ترجمة الشعر وما نفقده

- نسبية القصص 35-34

إبداع

• حسب توقيت القلب

- جاسم الصحيح 36



مجلة أدبية شهرية
تصدر عن رابطة الأدباء الكويتيين

منذ عام 1966

العدد 653 - ديسمبر 2024

صدر العدد الأول في أبريل 1966

رئيس التحرير:

حميدي حمود المطيري

سكرتير التحرير:

أفراح فهد الهندال

موقع رابطة الأدباء على الانترنت:

www.alrabeta.org

ثمن العدد:

دينار كويتي أو ما يعادله

من العملات الأخرى

المراسلات:

رئيس تحرير مجلة البيان

ص.ب: 34034 العدلية

الرمز البريدي 73251

هاتف المجلة: 0096522518286

هاتف الرابطة:

22510602 / 22518282

البريد الإلكتروني:

Albayankw@hotmail.com

• المواد المنشورة تعبر عن رأي كاتبها،
ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

• تقدّم إسهامات الكتاب باسم رئيس التحرير
مع السيرة الذاتية للكتاب المرفقة بمستند
رسمي يثبت صحتها بوسيط تخزين USB أو
ترسل إلى البريد الإلكتروني للمجلة.

• للمجلة الحق في نشر أو عدم نشر المواد
الواردة إليها من دون ذكر الأسباب.

الثقافة.. محرك المسارات المنجزة



للفنان التشكيلي عبدالوهاب العوضي - الكويت

عندما يستهّل الشاعر قصيدته، عندما يرسم الفنان لوحته، عندما يعلن الباحث عن اكتشافه، أو حين يصرح السياسي بأرائه، ويبحث الموسيقي عن نغمة البدء المناسبة، ويمزج الصّاح بالأنشيد نبرته، عندما يدون المفكر فكرةً وينبزي الحكاء ليخبر قصة، وينتشر الصوت على مسارح هذه الحياة؛ كل منهم يبوح بما يرى، لكنها مقالات تتفاوت فيها المواقف وتتباين فيها المقامات ما بين الرؤية والرؤيا.. والوجهات ما بين الماضي والحاضر والمستقبل؛ فكيف يكون المسار منجزاً؟

هذا السؤال الباحث عن الحقيقة قد لا ينتهي إلى نتائج حاسمة، ولا إلى إجابات جازمة ما دام العالم يتشظى على صفيح الحروب والكوارث البشرية والانهيابات الأخلاقية تصحبها صرخات تحترق ولا تموت استغاثات حريتها، وإيقاع طبول الرعب يعلو مع الواقعية الجديدة، أزمنة السيولة وتقهر القوى الناعمة واعتلاء الثقافة للمدنية التي كلّفت البشرية عصراً من الحجارة والصيد والخيول إلى الزراعة والصناعة والبناء والإعمار، هذا ما تحاول الثقافة إحياءه في مساعيها الحثيثة، وليس لها إلا العقول الواعية والضمير الحي لتنجو بالإنسان وبقايا سلسلة الأحياء على هذا الكوكب!

إن تمكين «السؤال» من الاستمرار هو ما يُبقي إبداع الإنسان مزدهراً ومُعطاء، يعول على الحلم هدفاً وعلى العلم ليحققه قدر المستطاع، وهذه عملية طويلة، بل عليها أن تكون طويلة المدى إن كان «السلام» و«الجمال» و«الخير» و«الأمان» ما زالت سمات العالم المنشود، ولن يتحقق ذلك حتى يكون لكل إنسان حقه في التساؤل، وعدته في محاولة الإجابة. مؤونة من المعارف والعلوم والآداب، وهنا يتأكد دور البيئة الآمنة والاستراتيجيات التربوية التي عليها أن توازن بين الحفاظ على خصوصية الهوية والانفتاح على العالم، وتلقي قيم الحداثة وما بعدها بالعقل النقدي والمقياس الأخلاقي والركائز التعليمية المتطورة.

وإن تمكنت الكويت من تسريع عجلة التقدم بمنشأتها الجديدة؛ كافتتاح مكتبة الكويت الوطنية، والمكتبة الرقمية، ومركز الشيخ جابر الأحمد الثقافي، ومركز الوثائق التاريخية، ودار الأوبرا الوطنية، إضافة إلى مركز الشيخ عبدالله السالم وحديقة الشهيد، وغيرها.. فإنها والمؤسسات التعليمية والثقافية القديمة لا تزال تتشدد التمكن الكامل في استقلاليتها وحرية التعبير وتطوير مجالات البحث العلمي، وتناشد بإمدادها بدعم مادي وتمويل أساسي يثري فعاليتها وأجندتها، وتستعد لاستقبال أجيال تدرك المعنى العميق لـ «المسؤولية»

التحديات ليست أكبر من مقوماتنا الراسخة ومكوناتنا الأصيلة، والكويت أكدت - عبر مراحل نشأتها وتطورها - تمسكها بكيانها المتفرد بتعديته وتنوّعه واستقلاليتها، وبال دستور حصناً راسخاً يكفل كل أسباب التطور والإبداع، وبـ «إصلاح المسار والتغيير» عنواناً للفترة الحالية بقيادة حكيمة، تعيد رونق «درة الخليج» لمواكبة مسيرة الدول المتقدمة واستعادة مكانتها «منارة» للثقافة والنهضة والتنوير.

هيئة التحرير

المتنامية التي تقع على عاتق كل فرد بمختلف مراحل حياته. وبصورة دقيقة، لا بدّ من الحفاظ على ظهور أجيال من المفكرين والمبدعين في المجالات كافة، أجيال تدرك أن الثقافة أساس للتطور والنمو والتغيير، ولا تكتفي بمجالاتها من باب الهوية، بل تخوضها من باب التخصص والاحتراف. وإن كان المبدعون والمفكرون والمربّون هم صنّاع الأفكار، فإن القادة والمسؤولين هم من يتخذ القرار، وهذا ما نأمل في هذه المرحلة العصيبة من تاريخ العالم الحديث، فإن

باحثون وكتاب تحدثوا لـ «البيان» عن تجربة العواصم الثقافية العربية احتفاء بالإرث الحضاري.. رغم الواقع السياسي والبنى التحتية

جوري شعار*

لا شك في أن المبادرة التي أطلقتها منظمة يونسكو لتسمية "العواصم الثقافية العربية" تمثل مشروعاً اتفاقياً استراتيجياً بهدف تعزيز الهوية الثقافية العربية والاحتفاء بالإرث الحضاري لكل مدينة عربية وتعزيز التراث المادي وغير المادي، وتعكس الجهود الرامية إلى تأكيد أهمية الثقافة كأداة للتنمية الاجتماعية والاقتصادية. ورغم أهمية هذه المبادرة عالمياً، ومرور أكثر من ربع قرن على انطلاقها، فإنها لا تزال تواجه العديد من التحديات التي تعيق تحقيق أهدافها بشكل كامل، من جوانب تنظيمية، واجتماعية، واقتصادية، وحتى سياسية، مما يتطلب جهوداً مدروسة ومستمرة لضمان نجاحها.

"البيان" استطلعت آراء بعض الكتاب والمثقفين من بعض المدن العربية التي تم اختيارها عواصم للثقافة العربية، والذين تباينت وجهات نظرهم بين الحاجة إلى تلك الفعاليات والبرامج الثقافية لتحقيق التبادل المعرفي والانفتاح على العالم وتعزيز دور الثقافة في المجتمعات العربية، فيما يرى البعض الآخر أن وبال المشهد السياسي في بعض الدول وآليات تنفيذ تلك الفعاليات قد تحولها إلى ظواهر "احتفالية"، فيها الكثير من "الكرنفالات" والقليل من "الثقافة"، خصوصاً مع انخفاض معدلات القراءة على مستوى الأفراد.



بين أفرادها يخلق صورة من صور التناخي والتسامح والتفاهم نادرة الوجود، مجتمع متصالح مع نفسه ومتسامح مع الآخر، يتيح للأخضر العيش الكريم والتعايش السليم، مدينة رقعته صغيرة ومعانيها كبيرة».

وأضاف الحداد: «إن مدينة الكويت جغرافيا ومعماريًا هي مدينة تستقبل البحر بذراعيها من «حي القبلة إلى حي الشرق»، وتتسع للصحراء امتدادًا لا حدود له، شعارها سفينة «البوم» الكويتية التي حملت على سطحها تلك الأعراق والطوائف المختلفة والمؤلفة في أن كل الرموز الصحراوية والبحرية المتجذرة في البيئة الكويتية، وكل هذه التفاصيل المعروفة عن مدينة الكويت والمعلومة لأهلها التي صنعت من هذا المزيج المتناخي ثقافة متفردة في معناها ومبناها، لا بُد أن تبرز في هذا العام الذي تم اختيار مدينة الكويت عاصمة للثقافة».

إنها المدينة النموذج لفكرة استيعاب الآخر والتعايش السلمي والحضاري للإنسان للارتقاء به لما هو أفضل وأرقى، هذا فضلاً عن تعزيز فكرة الهوية وترسيخ معانيها في كل ما تحمله من مشاريع تدعم الثقافة الناعمة وتؤكد بصفتها آلية من آليات الوعي النقدي الداعم لاستمرارية مراجعة الخطط الثقافية، بما يحقق مواكبتها للتطور الحضاري والعلمي والمجتمعي».

الثقافية التي رعتها الكويت منذ أن كانت إمارة حتى صارت دولة، واختيار مدينة الكويت، بعد ربع قرن تقريباً، لتكون عاصمة للثقافة العربية مرة ثانية هو اختيار يستدعي من الدولة أن تكون قد وضعت خطة ثقافية تحمل رسالة فكرية ومعرفية، لتكشف بعض الخصوصية الحضارية للكويت إقليمياً ودولياً وعالمياً.

فالكويت كانت ولا تزال تحمل شعار «الكويت بلاد العرب»، وما كانت مجلة العربي (1958) إلا تصديّة وترجمة لهذا الشعار، لذا صار من الواجب اليوم أن تكون لدينا رؤية لسياحة ثقافية، ولاستثمار ثقافي، نستثمر فيه معنى البيئة والمكان ومعطياته استثماراً يؤكد ويؤسس للتنوع الخلاق الذي تتسم به مدينة الكويت».

مراجعة الخطط الثقافية

وأكد أن «اختيار مدينة الكويت عاصمة للثقافة العربية لعام 2025 يتطلب تآزر جميع وزارات الدولة وهيئاتها ومؤسساتها الثقافية وجميعيات النفع العام ومؤسسات المجتمع المدني في إظهار وإبراز وجه مدينة الكويت الثقافي الحضاري. مدينة الكويت من المدن التي تميّزت عبر فترة زمنية طويلة من قبل استقلالها وخروج أهلها من سورها القديم وإنشاء المدن الحديثة، تميّزت بأنها مجتمع يقوم على التعددية العرقية والطائفية، والتعايش السلمي

بداية، أكد الباحث الكويتي د. عباس الحداد أن «فكرة العواصم الثقافية فكرة حضارية خادمة للثقافة، إذ تتيح للعاصمة المختارة أن تبرز خصوصيتها الثقافية وعمقها الحضاري وسلوكها الإنساني الذي يتجلى عبر مشاريعها الثقافية النشطة والقائمة على الانفتاح على الآخر والاندماج معه»، وشدد على أن «أن الثقافة عنصر مهم في حياة المجتمع ومحور من محاور التنمية الشاملة، إذ تهدف إلى تنشيط المبادرات الخلاقة وتنمية الرصيد الثقافي والمخزون الفكري والحضاري. وذلك عبر إبراز القيمة الحضارية للمدينة، وتنمية ما تقوم به من دور رئيس في دعم الإبداع الفكري والثقافي تعميقاً للحوار الثقافي والانفتاح على ثقافات وحضارات الشعوب وتعزيز قيم التفاهم والتآخي، والتسامح واحترام الخصوصية الثقافية».

وذكر الحداد أنه «تم اختيار دولة الكويت عاصمة للثقافة العربية عام 2001، وسعت الكويت يومها إلى إبراز وجهها الحضاري والثقافي والفكري عبر أنشطة جمّة، ومطبوعات كثيرة تُعرف بأدبها وأدبائها، كما نظمت معارض فنية لفنانين كويتيين اعتنوا بالبيئة الكويتية تصويراً وتشكيلاً، فضلاً عن المتاحف وما تحمله من تراث بحري وصحراوي ومهنّي وإنساني يكشف عن بساطة المجتمع الكويتي، وتسامحه واتّساعه للأخضر، كما أصدرت الكويت حينها مجلة الفنون، لتواكب التطور الفني وترصده وتوثق المسيرة



د. حسن مدن



د. عباس الحداد

«المدينة» لا تكون من دون الثقافة

أما الباحث البحريني، د. حسن مدن، فأشار إلى أن «تقليد العاصمة الثقافية السنوي بمقدار ما هو تكريم للمدن التي أدت وتؤدي دوراً مهماً في تاريخنا الثقافي، وفي إبداع الفن والأدب والعمارة وما إليها من فنون، فإنه يساعد على لفت أنظار المتابعين، وحتى السواح الذين يزورون البلد المحتفى بإحدى مدنه عاصمة ثقافية، إلى ما تمثله هذه المدينة من أهمية وما تحتوي عليه من آثار ثقافية، والتعريف بتاريخها الثقافي، الذي هو جزء ليس فقط من التاريخ الثقافي للبلد المعني، وإنما أيضاً هو جزء من التاريخ الثقافي العربي عامة، لكون الثقافة العربية، على تنوع روافدها، ثقافة واحدة أغناها تعدد الروافد هذا». وأضاف: «واقتران المدينة بالثقافة يكاد يكون قاعدة، وإذا كانت الثقافة وحدها لا تستطيع أن تصنع المدينة، فإن المدينة لا تصبح مدينة من دون الثقافة. التطورات في البنى الاقتصادية - الاجتماعية هي التي تؤدي الدور الحاسم في تحديد أشكال التعبير الثقافي والفكري، ولكن لأشكال التعبير هذه دور اللحمة أو الأسمنت اللازم لتماشك تلك البنى، إن بالتمهيد لها أو بضممان استقرارها».

وبين مدن أنه «إن كان هذا لا يعني أن أشكال التعبير المختلفة؛ سواء كانت شعراً، أو حكايات مروية، أو مدونة، أو رقصات شعبية وأهازيج وسواها، لا تظهر خارج المدن، فنظرة على أريافنا العربية تظهر أنها غنية بمثل هذه التعبيرات، ولكن المدينة، كفضاء للمهن والحرف والتجارة والإدارة، هي الرافعة التي تجعل من الظاهرة المحلية، ظاهرة عامة، وطنية، أي معروفة على مستوى الوطن الذي هي عاصمته أو مركزه».

ولو نظرنا إلى تاريخنا البعيد، لوجدنا أن الأدباء والمشتغلين بالعلوم والتأليف كانوا يشيّدون الرجال من أطراف الدولة العربية الإسلامية إلى حواضرها الأدبية والدينية، في الحجاز ومصر وبلاد الشام وبغداد، وفي العصر الحديث، فإن مدناً مثل القاهرة والإسكندرية ودمشق وحلب كانت حواضر النهضة الثقافية والأدبية الجديدة، وفي مختلف بلداننا هناك مدن أدت الدور نفسه محلياً وفي حالات كثيرة عربياً، ومن هنا نرى أن تقليد العاصمة الثقافية السنوي يجب أن يستمر ويتطور، وأن يتحول إلى تظاهرة ثقافية متنوعة الفعاليات تكون محفزاً لفعل ثقافي لاحق، لا يتوقف بانتهاء العام الذي سُميت فيه المدينة عاصمة ثقافية عربية».

سياسة.. وأنشطة صاحبة

وحول الأثر الثقافي، أشار الناقد اللبناني، د. صالح إبراهيم، إلى أن «تسمية دولة أو مدينة عاصمة للثقافة العربية، حدث دوري قد يدفع بالبعض إلى الاعتقاد بتأثيره الإيجابي على الثقافة فيعتمدها ويسمو بها نحو مستويات رفيعة

ففي تسمية مدينة ما عاصمة للثقافة بعض الافتعال الذي لا يُشكّل ضرراً على الإطلاق، لكن مردوده الثقافي البحت يبقى ضئيلاً، لكونه غير مستدام، ولكونه يفتقر إلى التراكمية الضرورية لبناء ثقافة ما أو للتأسيس لثقافة ما. قد يكون من المهم، أخيراً، في هذا السياق، أن نلفت إلى ما يعرّز اعتقادنا بالجدوى البسيطة من هكذا إعلان، وهو أن هناك، في المدن العربية المعلنه، تبعاً، عواصم للثقافة العربية، في زواياها البعيدة والقريبة أيضاً، من لم يسمع بـ «الحدث»، ومن لا يقرأ أصلاً»

البنى التحتية والقدرة المالية

وحول التجربة الفلسطينية؛ رأى الكاتب والمخرج المسرحي، د. عبدالفتاح أبوسرور، أن «اختيار وتسمية مدينة في بلد ما بعاصمة ثقافية بناء على أهمية ودور هذه المدينة محلياً ودولياً، ولكونها تعكس الهوية الوطنية الثقافية والفنية والتراثية لهذا البلد، واحتفاء بها كوجه مشرق لتنوع سكانها وأحياناً الطوائف الدينية والأعراف العرقية لسكانها، وإبراز الآثار والتراث الثقافي والأدبي والفني والفولكلور المادي وغير المادي، شاملاً فن العمارة والمعالم التاريخية والسياحية والعادات والتقاليد والطعام والاقتصاد، مما يؤدي دوراً أساسياً في تشكيل الوعي للحفاظ عليه وتوريثه للأجيال القادمة، وكذلك فتح الأبواب أمام السياحة بمختلف أنواعها، وتوفير منصات للفنانين والأدباء والمؤرخين والباحثين المهتمين بالنواحي المختلفة التي توفرها هذه العاصمة الثقافية من فعاليات وإمكانات للمعارض والعروض والمهرجانات الفنية والمسرحية والسينمائية واللقاءات وما ينشر أو يترجم في هذا البلد من كتب وأبحاث ودراسات وما ينشر عنه محلياً ودولياً، مما

في المقابل، قد يؤكد البعض الآخر أن دوره منحصر في مجال السياحة والتجارة والتحركات الرسمية، ولا نستطيع الجزم بسهولة فنحكم عليه من ناحية الجدوى الثقافية البحتة، لكننا قد نصل إلى تصور أو إلى نتيجة ما من خلال بعض الملاحظات.

واللافت، أولاً، أن «الفاعلين»، في التسمية والمحتفين بها، هم ليسوا من المثقفين، غالباً، بل من النخبة الناشطة في المجال السياسي وفي الشأن العام المقربين من بعض المثقفين المنفتحين عليهم أصلاً.

وإلى جانب ذلك، إذا نظرنا إلى الأنشطة المرافقة للحدث فنراها صاحبة إلى حد بعيد، وتحظى بتغطية إعلامية ودعائية تامة، يتمنى المثقفون لو استمرت معهم بعد انتهائهم أو انقضاء مدّته». وبين إبراهيم: «قد يرافق تلك الأنشطة حركة سياحية وتجارية فاعلة إلى جانب الظهور الكثيف للمثقفين وحتى لطالبي الثقافة المبتدئين ولمدعيها أيضاً، عبر الندوات والاحتفالات. من المحتمل أن يكون الحدث قائماً على بُعد سياسي متعمد لغاية ليست ثقافية، ولكن قد تكون التسمية «اعترافاً» بالدور الثقافي الحقيقي الذي تؤديه الدولة أو المدينة المسماة. في الحالتين نحن، الغيورين على الثقافة، ننتظر الجدوى الثقافية مما هو حاصل. من زاويتنا، نرى أن الجدوى الثقافية من «مهرجانية» تلك الأحداث، عموماً، هي أنية وسطحية أيضاً. حجتنا التي تدعم هذا الاعتقاد هي طبيعة الثقافة وجوهرها كونها لصيقة بأصالتها» ولا يمكن افتعالها بلحظة أو عبر حدث».

وأضاف: «إن الثقافة، كما نراها، هي حالة تراكمية متعددة الروافد تُبنى عبر مدة زمنية طويلة، فلا يمكن أن تكون بسبب «طفرة»، ولا يمكن أن تفتعل عبر إعلان «رسمي».



د. صالح إبراهيم



آن الصافي



عبد الفتاح أبوسرور

وهذا بفضل تنوعه الجغرافي والإثني. ودعا حينها السودان الاتحاد الإفريقي لتبني مشروع العواصم للثقافة الإفريقية، بالإشارة إلى امتزاج الثقافة السودانية بين العربية والإفريقية، مما أعطاهما سمات متميزة خاصة بها.

وأضافت: «في ذلك العام، تعددت فعاليات الاحتفاء بالسودان بين معارض فنية، ومهرجانات أدبية، وندوات علمية تناولت التراث السوداني. ففي شهر يناير فقط عقدت أكثر من 160 فعالية لجميع مؤسسات المجتمع السوداني، ومشاركة أكثر من 600 مبدع عربي.

ومن أبرز النجاحات التي تحققت، إبراز التراث غير المادي، مثل رقصة الكرنق وأغاني الحماسة التي تعكس هوية السودان الثقافية، وكذلك تشجيع الأدب المحلي، حيث شهدت هذه الفترة اهتماماً خاصاً بالكتاب السودانيين، وإبراز إسهاماتهم في الأدب العربي.

وكانت هناك تحديات تتعلق بالبنية التحتية وأولويات الدولة، ولعدم الاستقرار السياسي وقتها ولعدم تطبيق الاستراتيجيات المتفق عليها، لم يكن النجاح كما خطط له.

وهكذا نرى أن تسمية العواصم الثقافية مبادرة تتجاوز الاحتفال الرمزي، لتكون منصة حقيقية لبناء مستقبل أكثر إشراقاً للثقافة العربية، من خلال التركيز على التراث والإبداع، ودعم الهوية الثقافية العربية وتعزيز دور الثقافة في التنمية وتعزيز الروابط الثقافية بين الشعوب العربية. كما تجب مواجهة التحديات بجدية ورؤية شاملة، والاستفادة من تجارب الآخرين، مما يحول هذه المبادرة إلى مبادرة دائمة للإبداع والحوار الحضاري، ولتحقيق الهدف المرجو منها.

* كاتبة سورية مقيمة في فرنسا

الثقافية السابقة في العالم العربي والدول الأوروبية، للاستفادة من تجاربهم وخبراتهم وأليات تجنيد الأموال والنواصير مع الفرق الفنية والفنيين والأدباء والحرفيين والحكواتيين، وغيرهم، وبناء برامج تليق ببيت لحم وتاريخها وأهميتها بالنسبة للعالمين الإسلامي والمسيحي والإرث العالمي، وما فيها من تنوع سكاني وبيئي وغذائي، لكن التحديات لتجنيد الأموال من ناحية وتباين الرؤى بين البلديات والوزارات أبطأت كثيراً التحضيرات، وكان لتفشي كورونا من ناحية، وعدم توافر الميزانيات المالية من ناحية أخرى، وتحكم حواجز الاحتلال بالحركة بين المدن الفلسطينية دور أساسي في حصر الإمكانيات للكثير من الفعاليات على المستوى المحلي والاستفادة من تجارب العواصم الأخرى، وجمدت معظم البرامج التي حاولنا فيها بناء جسور التبادل الثقافي والفني مع الدول الأخرى.

الاستقرار السياسي والتراث

ومن السودان، قالت الباحثة م. آن الصافي: «السودان كوكب التنوع الثقافي وعن جدارة، ففيه تتلاقى حضارات وثقافات بتعدد وتنوع منفرد، لذا اختارت الجامعة العربية الخرطوم عاصمة للثقافة العربية عام 2005، كما اختار الاتحاد الإفريقي أن يرشح السودان العاصمة الخرطوم، لتصبح أول عاصمة للثقافة الإفريقية، وبدورها اختارت منظمة التعاون الإسلامي مدينة سنار العريقة عاصمة الدولة الإسلامية الأولى في السودان، لتكون عاصمة الثقافة الإسلامية عام 2017».

وأشارت إلى أنه «عندما اختير السودان عاصمة للثقافة العربية، كان هذا التكريم فرصة استثنائية لإبراز التنوع الثقافي الغني الذي يتميز به السودان بلد الـ 600 ثقافة و 140 لغة ولهجة،

يفتح الأبواب أمام العالم لمعرفة هذا البلد بشكل أو بآخر.

ولا يخلو الأمر من تحديات تشمل إمكانيات تنظيم الفعاليات والبنية التحتية، والقدرة البشرية والمالية لتجهيز وتأمين الأماكن المناسبة والكافية لاستقبال الأعداد غير العادية من وفود الزائرين المحليين والدوليين ومواصلات كافية لتنقلهم وتوفير الأمان لهم أثناء وجودهم ومشاركاتهم بالفعاليات المختلفة، والشعور بأنهم مُرحَّب بهم من المحليين في الشارع، أو أماكن الإقامة، أو المطاعم، أو المواصلات، والتغطية الإعلامية الكافية عن هذه العاصمة وفعاليتها محلياً ودولياً.

وأوضح أن «القدس أعلنت عاصمة للثقافة العربية عام 2009، وكذلك أعلنت عام 2018 عاصمة للثقافة الإسلامية، كما أعلنت «بيت لحم» عاصمة للثقافة العربية عام 2020، وقد عانت المدينتان تحديات كبيرة؛ أولها وجود الاحتلال الإسرائيلي، خصوصاً بما يتعلق بالقدس والوصول إليها، وبما يتعلق بإمكانية زيارة الوفود، وخصوصاً القادمين من الدول العربية والإسلامية، لكون دخول البلاد تحت سيطرة الاحتلال، ومن ناحية ثانية العائق المالي الذي كان في أدنى مستوياته. أما في بيت لحم، فقد كان الجانب المادي أيضاً عائقاً كبيراً، بالإضافة للاحتلال، وتفشي وباء كورونا وحجر مدينة بيت لحم التي ظهرت فيها أولى الحالات مع بداية مارس 2020، مما عطل كثيراً إمكانيات الاحتفال وإطلاق الفعاليات محلياً ودولياً.

وحول حيثيات الاحتفالية، بين أبو سرور: «لقد بدأ العمل على التحضير لبيت لحم كعاصمة للثقافة العربية منذ عام 2016، وقد كنت سكرتير اللجنة التحضيرية لمؤتمر التجهيز للفعالية الثقافية والفنية لبيت لحم عاصمة للثقافة العربية، وتواصلنا مع العديد من العواصم

حوار حول تجربته.. وذاكرات مع شعراء الكويت عبدالله السبب: فاجعة غزو الكويت أوجدتني في ميداني الحرب والشعر



هشام أزكيز - الشارقة

وُلد الأديب والكاتب والشاعر والإعلامي عبدالله محمد السبب عام 1965م في منطقة الرمس، بإمارة رأس الخيمة في الإمارات العربية المتحدة، وهو يحمل درجة البكالوريوس في إدارة الأعمال من جامعة بيروت العربية عام 2000م، ويُعد من رواد قصيدة النثر الإماراتية ومؤسسيها في ثمانينيات القرن العشرين، وهو أيضاً من الرعيل الأول لكتّاب القصة القصيرة، ورائد القصة القصيرة جداً بالإمارات، وله تجربة في الكتابة المسرحية والسينمائية. تم تكريم الأديب السبب من جهات ثقافية وتعليمية ورياضية عدة، وفاز بالجائزة التقديرية لمسابقة غانم غباش للقصة القصيرة عام 1995م عن قصة «سالفه». كما تُرجمت بعض أعماله الشعرية والقصصية إلى لغات عالمية حية، وحول تجربته الأدبية وذاكراته التي يرصدها ويوثقها في مختلف أعماله - لا سيما في الكويت - كان لـ «البيان» الحوار التالي معه.

وجدت نفسي أخوض غمار الكتابة القصصية تعبيراً عن مجريات الواقع الاجتماعي

إبداعية، تغيرت ملامح قصتي، لتتخذ من الأسلوب السرد شعري لغة قصصية جديدة نتج عنها فوزي بالجائزة التقديرية في مسابقة غانم غباش للقصّة القصيرة بدورتها السادسة عام 1995م عن قصة سالفة، كما صدرت أولى مجموعاتي القصصية «جنازة حب وأشياء أخرى» عام 2011م، التي اختلف في شأنها من حيث تصنيفها الأدبي، فيما إذا كانت قصصاً أم قصائد نثر. ورغم ذلك، فهي رغم حداثة أسلوبها ولغة سردها، فإنها ظلت محافظة على عناصر القصّة القصيرة، من زمان ومكان وأحداث وشخصيات وحبكة وعقدة وحل؛ كذلك، تم تتويجي رائداً للقصّة القصيرة جداً من خلال ملتقى الشارقة العاشر للسرد في شهر سبتمبر 2013م تحت عنوان «القصّة القصيرة جداً سؤال النوع وتطور السرد»، بمشاركة عدد من الأدباء والمفكرين.

* ماذا عن القصائد الشعرية الأولى؟

- قصائد بسيطة؛ عمودية في أغلبها، سواء الفصحى منها أم النبطية؛ وكذلك من حيث مواضيعها التي غلب على معظمها الطابع الرومانسي، مع بعض القضايا الاجتماعية؛ إلا أنني فيما بعد بدأت، بتلقائية إبداعية أيضاً، ودخلت في عالم قصيدة النثر، دون التأثر بأحد، ودون أكون استنساخاً لأحد، لتتوالى إصداراتي الشعرية ابتداءً من «الآن» عام 1996م، وحتى عام 2023، الذي أسفر عن حكاياتي الشعرية «كواليس، أو ما نسيته الشمس بين ضفائرها».

في القصّة والشعر والمسرح

* نقدياً؛ انصبّ اهتمامك على الحداثة في الشعر الإماراتي، حدثنا عن هذه التجربة.
- أولاً، الحداثة في الشعر لا تكون فقط من حيث الجنس الشعري؛ سواء قصيدة التفعيلة التي

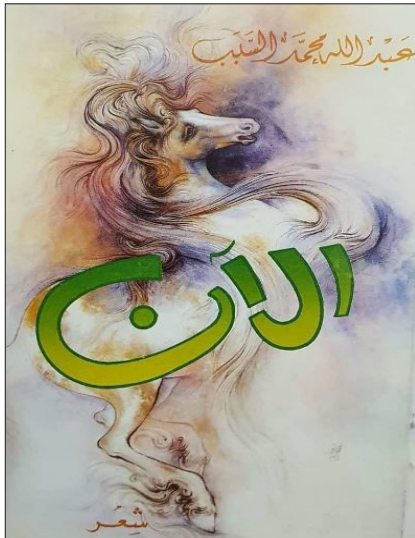
* حدثنا عن بدايات تكوين شخصيتك الثقافية في مرحلة الطفولة.

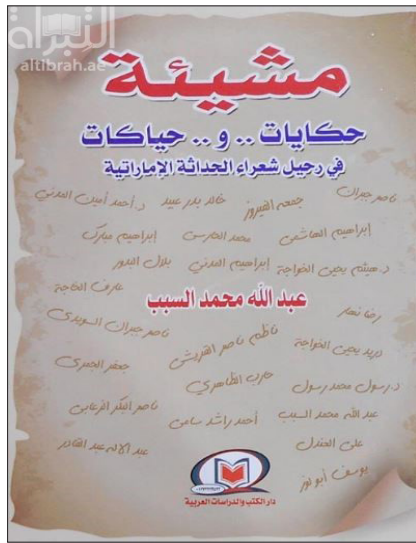
- لا أثير لأي جهة في تكوين شخصيتي الثقافية بمرحلة الطفولة، المبكرة منها والمتأخرة؛ هي موهبة أتت إليّ من حيث لا أعلم، ومن حيث لا أحلم؛ إذ ثقة نداء داخلي قادني إلى التأمل، والتقاط كل ما هو معنيّ بالثقافة؛ سواء من حيث المجالات والصحف التي التقيتها في حياتي المبكرة، كصحيفتي الخليج والبيان الإماراتيتين، ومجلتي الرمس الصادرة عن نادي الرمس الرياضي الثقافي، ومدرسة الرمس الإعدادية للبنين، أو من خلال معارض الكتب التي كانت من تنظيم نادي الرمس.. كل ذلك كان له الأثر غير المباشر في تكوين شخصيتي الثقافية في الطفولة التي صاحبها شغفي المبكر بالقراءة، وعشقي الخالص للغة العربية من خلال المسلسلات الإذاعية التي كنت أسهر للاستماع إليها والاستمتاع بها صيفاً في منطقة ضاية، رفقة شقيقي وأمي، يرحمها الله، حين كنت ابن ثمانية أعوام تقريباً.

* أنت من رواد كتابة القصّة القصيرة، ما الذي قادك إلى اختيار هذا الجنس الأدبي والتوغل في شؤونها؟

- المبدع، أي مبدع، في أول مشواره الإبداعي، لا يختار الجنس الأدبي الذي يمثل ما في روحه من رؤى وأفكار وهو اجس.. هو هكذا؛ يجد نفسه قد وقع في قبضة القلم، يعتلي صهوة الكتابة دون أن يكون على دراية إلى أين سوف تحمله الريح، وفي أي البقاع سيستقر به مقام الحروف.. لذا؛ هكذا وجدت نفسي أخوض غمار الكتابة القصصية، تعبيراً عن مجريات الواقع الاجتماعي بأسلوب جديد في معظم القصص، لا هو كلاسيكي بحت، ولا هو حداثي، ليكون نتاج ذلك عشر قصص في مخطوطة الضباب عام 1987م، إلا أنني في أعقاب ذلك العام، وبتلقائية

الحداثة الشعرية تتمثل في الأسلوب الشعري والمهارات اللغوية ومواضيع القصائد





والتي مازالت محفورة في ذاكرتك حتى اليوم؟

- لعل درس اللغة العربية ضمن منهاج الأول الابتدائي «مع حمد قلم وورق»، هو الحكاية الأولى التي كانت دافعاً ومحفزاً لنشأ المهوبة الإبداعية لدي من حيث لا أعلم، حيث تعلمنا قيمة الكتابة، وقيمة القراءة، وقيمة القلم والورق. وحكاية أخرى تعود إلى المرحلة الإعدادية، حين أنجزت لوحة فنية بألوان الفلوماستر، حيث رسمت مؤسس دولة الإمارات الشيخ زايد بن سلطان، طيب الله ثراه، وسألني حينها الاختصاصي الاجتماعي الأستاذ راجح، يرحمه الله: هل أنت من رسم اللوحة، أم أخوك؟ فقلت: بل أنا. قال: لقد ذهبت إلى الكويت للمشاركة في مسابقة فنية هناك، وذهبت اللوحة، ولم أدر ما هي النتيجة التي حصلت عليها.

وأنا متابع جيد للمشاهد الإعلامي الكويتي، حيث الأعمال الفنية الكويتية؛ سواء الدراما التلفزيونية، أو الأعمال المسرحية؛ وكذلك البرامج الثقافية المتنوعة، وقد أنجزت مجموعة من المقالات والدراسات حول المسرح الكويتي وعدد من رموزه

* الكويت حاضرة في بعض قصائدك.. ما أهم الأحداث التاريخية التي وثقتها شعراً؟

- حين تعرضت دولة الكويت للغزو العراقي، كنت حينها في الأردن لأداء امتحانات السنة الأولى بكلية التجارة بجامعة بيروت العربية؛ عدت على أثر ذلك إلى الإمارات، ومن ثم ذهبت إلى سلطنة عمان لاستكمال الامتحانات هناك، وبعد العودة، استجبت لنداء التطوع الذي أطلقه المغفور له بإذن الشيخ زايد، بأن التحقت بالدفعة الثانية من المتطوعين العسكريين، وهناك حيث ميدان التدريب، كتبت في شهر نوفمبر 1990م حكايات شعرية مكثفة، من بينها «حكاية، ليست خامسة.. ليست أخيرة»، تتعلق بمشهد الغزو العراقي الجاثي، الذي أحدث جرحاً غائراً في الجسد الخليجي العربي

المسرحية الكويتية «باي باي عرب». ثالثاً من الناحية الإدارية، حيث انضمامي إلى مسرح رأس الخيمة الوطني عام 1995م، والانخراط في لجنته الثقافية لدورات عدة، وكنت من مؤسسي مجلة المسرح (شؤون ثقافية) في شهر مارس 1999م، وعضو أول هيئة تحرير لها. أما على صعيد الكتابة المسرحية، فقد كتبت نصين مسرحيين: أحدهما «مذاق الضجيج»، وهو من المسرح الإيمائي، الذي جرى نشره في مجلة الملتقى الأدبي الصادرة عن مسرح رأس الخيمة الوطني؛ بالعدد الرابع والخامس: ديسمبر 1991م - مارس 1992م (عدد خاص عن المسرح). والنص الثاني «الكرسي»، من المسرح المدرسي، لحفل تخريج طالبات الثانوية العامة - القسم الأدبي بمدرسة النهضة الثانوية العامة في الرمس، للعام الدراسي 2001/2002م، الذي كُتب خصيصاً بطلب من المدرسة.

* وما أهم القضايا التي تطرحها في كتاباتك المسرحية؟

- بالنسبة لمسرحية مذاق الضجيج، فلها حكاية إبداعية خاصة.. ففي نهاية عام 1988م، سألتني إحدى المشاركات في البرنامج الإذاعي الثقافي «نادي المستمعين» عن أمنيته في العام الجديد 1989، فما كان مني إلا أن أجبت عن سؤالها بخاطرة فنية؛ فيما بعد، حين كنت في الإسكندرية مصر، وتحديدًا في 24 فبراير 1989م، قمت بتحويل تلك الخاطرة إلى قصة قصيرة جداً بعنوان «حُب»؛ ثم في عام 1991م، حولت القصة إلى نص مسرحي إيمائي بعنوان «مذاق الضجيج»؛ والنص بكل أشكاله وصوره ومراحله، إنما هو نبش في المكابدات اليومية والقلق الحضاري.

نكريات الكويت محفورة في الذاكرة

* هل تتذكر أبرز الحكايات المدرسية بالكويت،

جاءت بعد القصيدة العمودية، ومن ثم قصيدة النثر التي أتت من بعد القصيدة الحرّة ممثلة بقصيدة التفعيلة؛ بل الحداثة الشعرية من خلال الأسلوب الشعري، والمهارات اللغوية، ومواضيع القصائد؛ ففي كل جنس شعري من الأجناس الثلاثة، ثمة حادثة على صعيد الشعراء أنفسهم؛ فأحياناً تصفق بحرارة لقصائد عمودية، لما فيها من حادثة تفوق حادثة قصائد النثر، وأحياناً تُدير وجهك عن قصائد نثر خاوية المعنى وبليدة في لغتها وفي فكرتها.

ثانياً، في كتابي «مشيئة.. حكايات وحيكات، في رحيل شعراء الحداثة الإماراتية»، تحدثت عن ستة من الشعراء الإماراتيين الراحلين: د. أحمد أمين المدني، خليفة المر، جمعة الفيروز، علي العنزل، أحمد راشد ثاني، ناصر السويدي، وجميعهم من شعراء الحداثة الإماراتية الذين لهم بصماتهم في تطور القصيدة الإماراتية؛ سواء على صعيد القصيدة العمودية، أو قصيدة التفعيلة، أو قصيدة النثر؛ وقد حاولت في هذا الكتاب الإضاءة على تجاربهم، مع شيء من سيرهم الإبداعية الشعرية والأدبية العامة، مع الاستشهاد بنماذج من إبداعاتهم الشعرية، وبمجموعة من شهادات الزملاء المبدعين التي أشارت إلى تجاربهم الشعرية وحضورهم المتميز في المشهد الثقافي الإماراتي والعربي العام.

* وما الذي دفعك إلى المسرح.. لك تجربة نقدية وإبداعية توسعت في هذا المجال؟

- اهتمامي المبكر بالمسرح جاء في زوايا عدة؛ أولاً كشاهد مسرحي، سواء تلك التي تُعرض في التلفزيون، أم التي أشاهدها مباشرة على خشبة المسرح، وخصوصاً في «أيام الشارقة المسرحية»، التي كنت أذهب إليها بصحبة الأديب المسرحي العربي السوري د. هيثم الخواجة ورفيق دربي الشاعر أحمد العسم؛ ثانياً كقارئ للخشبة المسرحية، ومثال ذلك ما كتبتُه بتاريخ الإثنين 18 يوليو 1988م في صحيفة الخليج الإماراتية عن

أنجزت مجموعة من المقالات والدراسات عن المشهد الثقافي الكويتي

درس «مع حمد قلم».. الحكاية الأولى التي كانت دافعاً ومحفزاً لنبش الموهبة الإبداعية لدي

عرفت محمد الفايز من «مذكرات بحار».. وصلاحي دبكة آثار إعجابي.. أما الشاعرة سعاد الصباح فلي مع قراءتها حكايات

لإصداراتها الشعرية والحرص على اقتنائها، لاسيما ديوانها «في البدء كانت الأنثى» الذي يجعلني على مقربة من فكر الأنثى المتزنة؛ وأما الحكاية الثانية فمن خلال ما كان يردني باستمرار على البريد الإلكتروني من أخبار ثقافية وأدبية ورسائل إعلانية من المركز الإعلامي في دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع، منذ عام 2013م، وكنت حينها أبعث ببعض تلك الأخبار إلى الصحف المحلية بالإمارات للنشر، وكانت البداية بأن أرسلت إلى صحيفة هماليل الثقافية للإعلان عن مسابقة دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع لعام 2014/2015، فكان أن تلقيت رسالة شكر من الدار، بعدها تواصلت علاقتي بالدار وبصاحبها الأديبة الشاعرة القديرة، حيث أرسلت إليها عام 2014م مختاراتي الشعرية «كما لو أنني للثو»، التي نالت رضاها وإعجابها؛ وانطلاقاً من مركزي الإعلامي نائباً لرئيس تحرير مجلة شؤون أدبية صادرة عن اتحاد كتاب وأدباء الإمارات بالشارقة، ورئيس تحرير مجلة نخيل، الصادرة عن جمعية النخيل للفن والتراث الشعبي برأس الخيمة، حرصت على نشر نصوصها الشعرية وما كتب عنها، لاسيما الدراسة المرسلة من المكتب الإعلامي في دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع (الوقائعية والتفصيلية والانفعالية بين ذاكرة الشاعرة ومذكرات بحار... دراسة ترصد «وهج اللؤلؤ عند سعاد الصباح ومحمد الفايز»)، التي تم نشرها في العدد 49 من مجلة نخيل، ديسمبر 2021م.. وبكل فخر تلقيت في 2 مايو 2017م رسالة شكر من أستاذتنا الشاعرة د. سعاد الصباح، لتسليط الضوء على ديوانها الشعري «الشعر والنثر.. لك وحدك» في شؤون أدبية.

من إصدارات عبدالله السبب

- في الشعر: «الآن»، «عصر»، «مشهد في رثتي»، «المرايا تحدث أخبارها»، «كما لو أنني للثو»، «لغافة»، «أطلس.. حيث الإمارات العربية المتحدة»، «صلاة»، «كواليس أو ما نسيته الشمس بين ضفائرها».

- في السرد القصصي: «جنازة حب وأشياء أخرى»، «الضباب».

- في المسرح: «مذاق الضجيج»، «الكرسي».

- في الدراسات والمقالات وأدب التراجم وأدب السيرة: «جمعة الفيروز.. بين احتراقات الذاكرة واختراقات النسيان»، «نبضنا في القلب زايد أو ما تيسر من قول في سموه: مقامات ومقالات».

- «مشيئة.. حكايات وحياكات في رحيل شعراء الحداثة الإماراتية»، «علي العنديل.. لغافة شعر.. لفيف قصائد»، «شعراء في المشهد الإبداعي الإماراتي.. قصيدة النثر أنموذجاً»، «حضور الغائب في المشهد الثقافي الإماراتي».

ذات عتمة
تنين حالك الغباء
يضمير عشقاً من أُنشود
يطأ خريطة من أخضر

ذات عتمة
تنين حاد الغباء
يختلس حمامة من أبيض
في الثانية ذعراً
بغد مُنتصف الضمّت.

حكايات مع شعراء الكويت

* من هم أبرز الشعراء الكويتيين الذين تعرفت إليهم، ولم تخلُ علاقتك بهم من الانشغال بالإبداع الأدبي؟

- ثمة معرفة مباشرة وأخرى غير مباشرة؛ فأما الشاعر محمد الفايز، يرحمه الله، الذي انتقل إلى رحمة الله فجر 28 فبراير 1991م، عقب تحرير الكويت من الغزو العراقي بيومين، فقد عرفته من خلال المذكرة الثامنة من «مذكرات بحار»، التي كانت مقررًا لنا في المنهج الدراسي

ما زلتُ أذكر كل شيء عن مدينتنا القديمة عن حارتي الزلمية الصفراء والمقل الحزينة

ومنذ ذلك الوقت وأنا أتطلع إلى الحصول على جميع مذكرات البحار الكويتي محمد الفايز، إلى أن جاءت الفرصة المنتظرة حين كانت ابنة أخي الأمينة الغالية في رحلة قصيرة إلى الشقيقة الكويت في شهر فبراير 2014م، فطلبت منها البحث عن المذكرات الشعرية البحرية للشاعر الفايز، يرحمه الله، فأحضرت لي الكنز الشعري «المجموعة الشعرية» الصادرة عام 1986م، مشتملة على جميع دواوينه الشعرية، باستثناء ملحمة الشعرية «خالد بن الوليد».

والشاعر صلاح دبكة تعرّفت إليه مباشرة حين اشتركنا معاً في «الملتقى الشعري الخامس لدول مجلس التعاون الخليجي» في أبوظبي خلال الفترة من 24 إلى 26 أبريل 2000م، وأذكر حينها سألني أحد الشعراء المشاركين عن رأيي في قصيدته المشاركة وقصيدة صلاح، فأثنت على قصيدته دبكة من دون أن أنكر عليه جودة قصيدته، فأثار ذلك حفيظته بأن علّق على قصيدة صلاح دبكة بأنها تعتمد على اللعب بالمفردات اللغوية، فأجبت بأن ذلك هو الذي أثار إعجابي.. فصلاحي شاعر لغة، وأنا شاعر لغة، أحب الاشتقاقات اللغوية ومُغرم بالمعجم اللغوي الذي يحلمني على الغوص في لب الأشياء والعمل على هندسة الكلمات.

أما الشاعرة القديرة الشبيخة د. سعاد الصباح، فلي معها حكايات وحكايات؛ تبدأ الحكاية الأولى من خلال متابعتي الحثيثة

أكثر من 90 فعالية بين ثقافات العالم في دورته الـ 47 معرض الكتاب.. بؤادر مشرقة لـ «الكويت عاصمة الثقافة العربية 2025»



دجاج سلامة

اجتمعت ثقافات العالم وآدابها تحت سقف واحد بمعرض الكويت الدولي للكتاب، الذي اختتم أعماله في 30 نوفمبر الماضي، واستمر على مدار 10 أيام، بمشاركة 544 دار نشر تنتمي لـ 31 دولة، والذي كشف عن بؤادر باكرة لملاح التطوير والتغيير والمشاريع الكبيرة التي أعدت لفعاليات احتفالية اختيار «الكويت عاصمة الثقافة العربية» لعام 2025. وسط حضور عربي ودولي واسع، افتتح وزير الإعلام والثقافة وزير الدولة لشؤون الشباب، رئيس المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عبدالرحمن المطيري فعاليات الدورة الـ 47 من المعرض، التي أقيمت برعاية رئيس مجلس الوزراء سمو الشيخ أحمد العبدالله، وحضور وزير الثقافة الأردني مصطفى الرواشدة، والأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب د. محمد الجسار، والأمانة العامة المساعدة لقطاع الثقافة عائشة المحمود، والأمين العام المساعد لقطاع الفنون مساعد الزامل، والأمين العام المساعد لقطاع الآثار والمتاحف بالتكليف، محمد بن رضا، ومدير المعرض خليفة الرباح، والوكيل المساعد للصحافة والنشر والمطبوعات بوزارة الإعلام الكويتية، لافي السبيعي، وعدد من السفراء لدى الكويت، إضافة إلى حشد من الناشرين والمفكرين والمثقفين والكتّاب العرب والأجانب.

عبر الأجنحة المتنوعة فاق الـ 90 نشاطاً ثقافياً، وقد تمت مراعاة التنوع الثقافي، حيث لا تكون أدبية خالصة أو فكرية خالصة، إنما يحاكي كل رؤى الثقافة المختلفة للمجتمع مثل السينما، والدراما، والأمسيات الشعرية.

243 ألف عنوان

من جهته، قال مدير المعرض الكويت الدولي للكتاب، خليفة الرياح، إن دورة المعرض لهذا العام شاركت فيها 31 دولة، منها 19 عربية و12 أجنبية، إضافة إلى مشاركة 544 دار نشر، منها 400 دار نشر مشاركة بشكل مباشر، و160 عبر توكيل لدور نشر مشاركة في المعرض.

وأضاف أن عدد الكتب التي تم تسجيلها في الاستعلام الآلي للمعرض بلغ 243 ألف عنوان، من ضمنها 14630 عنواناً حديثاً، وبلغ عدد العناوين الخاصة بالطفل 47367 عنواناً، منها 1929 عنواناً حديثاً.

فعاليات وأنشطة رابطة الأدباء الكويتيين

وشاركت رابطة الأدباء بفعاليات ثقافية عديدة ومكثفة في الأنشطة المصاحبة لمعرض الكويت، ومنها جلسات حوارية بعنوان "تحديات ترجمة الشعر.. الشعر الكويتي نموذجاً"، وجلسة "كتاب الطفل بين الشكل والنوع"، إضافة إلى جلسة بعنوان "عوالم السرد" بمشاركة مجموعة من الكتاب والباحثين، واختتمت فعالياتها في معرض الكتاب بندوة عنوانها "أثر رابطة الأدباء الكويتيين"، التي قدمها الأمين العام للرابطة، م. حميدي المطيري، واستضافت الرابطة ضمن أنشطتها نخبة من الأدباء والمفكرين ورؤساء الأندية الأدبية في المملكة العربية السعودية، كما أقامت أمسية شعرية لعدد من الشعراء.

بامتدادها العربي في زخارفه الإسلامية، وامتداده الحضاري في تصميم الأعمدة، ليكون الجناح رمزاً وعنواناً بصرياً وجماليّاً يعبر عن الهوية الوطنية في تنوعها وتفصيلها.

من جانبها، قالت المحمود إن المعرض أقيم هذا العام تحت شعار "العالم في كتاب"، في إشارة إلى أهمية الكتاب ودوره في خدمة الدول والشعوب ونشر المعارف والثقافات.

90 نشاطاً ثقافياً.. وفعاليات مستحدثة

وحول ما قدمه المعرض من أنشطة هذا العام قالت إن دورة هذا العام من المعرض حملت شعار "العالم في كتاب"، وأنه تم اختيار هذا الشعار لهذه الدورة ليكون تعبيراً عن أهمية الكتاب ودوره في تقديم الثقافة للمجتمع بكل أطرافه وألوانه.

وتطرقت المحمود إلى النشاط الثقافي الذي صاحب المعرض، قائلة: "ارتأينا أن نقدم رؤية جديدة في النشاط الثقافي المصاحب، عبر ثلاث منصات مختلفة؛ الأولى هي "الرواق الثقافي"، التي تم استحداثها العام الماضي، وهي ذات طابع شبابي وقدمت بشكل كامل من المجلس الوطني كأنشطة ورؤية، وأوضحت أن القسم الآخر كان في المقهى الثقافي، وهو عبارة عن مشاركة بين المجلس الوطني، ومؤسسات النفع العام، والجهات الحكومية ذات الصلة، وقدم أنشطة متنوعة خلال فترتين؛ صباحية ومساءلية.

وذكرت أن المنصة الثالثة كانت عبر زاوية جديدة تم استحداثها هذا العام لأول مرة هي زاوية "كاتب وكتاب"، إضافة إلى جناح ثقافة الطفل.

وأشارت إلى التعاون مع رابطة الأدباء الكويتيين والعديد من مؤسسات النفع العام والمجتمع المدني، في تقديم عدد من الأنشطة، إضافة إلى وزارتي النفط والأوقاف والشؤون الإسلامية، وغيرهما من الجهات الحكومية.

وذكرت أن النشاط الثقافي الذي شهدته المعرض

المبدعون يصنعون مجد الأوطان

وضمن كلمته بافتتاح المعرض، قال الوزير المطيري: "المبدعون هم الذين يصنعون مجد أوطانهم، وهم الذين يضيئون مشاعل الحضارة لكي يكون الغد أجمل، وإذا كانت ثقافة المجتمع وعلومه وفنونه تقع في دائرة اهتمامنا جميعاً، فإن من ارتقى بها يستحق أن يُكرم، وإذا كانت أعمال المبدع هي التي تحفر اسمه في سجل الخالدين، إلا أنه من واجبنا جميعاً أن نسلط الضوء على تلك الإنجازات لكي تبقى حاضرة في ذاكرة وقلوب الأبناء جيلاً بعد جيل".

الأردن ضيف شرف الدورة

وقد تم اختيار الأردن ليكون ضيف شرف المعرض هذا العام، وفي كلمة له بهذه المناسبة، وجه وزير الثقافة الأردني، مصطفى الرواشدة، الشكر لدولة الكويت على هذا الاختيار، مؤكداً أن حلول الأردن ضيف شرف بالمعرض يُعبر عن عمق العلاقات بين البلدين الشقيقين.

وأكد الرواشدة أن المعرض في دورته السابعة والأربعين يمثل عمق الجذور الثقافية في الكويت، التي كانت ولا تزال تشكل منارة للتنوير من خلال مشروعاتها الثقافية والمعرفية، في الإصدارات التي كانت علامة مهمة في المشهد الثقافي العربي، ومنها مجلات العربي، وعالم الفكر وعالم المعرفة، فضلاً على فضاء الحرية الذي تمتعت به البيئة الثقافية الإبداعية والإعلامية والاجتماعية في الكويت، والتي شكلت أنموذجاً عربياً في الديمقراطية.

وقد شهد المعرض العديد من الفعاليات التي أضاءت على المشهد الثقافي والفني في الأردن، وكذا الصناعات الثقافية والإبداعية في المملكة، إضافة إلى جناح الأردن بالمعرض، والذي عبّر عن خلال تصميمه عن الهوية المعمارية الأردنية

المعرض سلّط الضوء على إنجازات أثرت الحياة الفكرية والثقافية





«العالم في كتاب» شعار هذا العام.. ركيزة ثابتة للتشجيع على القراءة

احتفاء بمسيرة عبدالله الغنيم

وقد احتفى المعرض في دورته تلك بمسيرة الجغرافي والباحث والكاتب د. عبدالله الغنيم، الذي اختير ليكون شخصية المعرض في دورته لهذا العام وشهد المعرض ندوة حوارية أدارها د. يوسف البدر، وتحدث فيها الغنيم عن تجربته وأهم المحطات في مسيرته العلمية والمهنية، وأسهمت في تشكيل رؤيته الثقافية والفكرية. وجرت الندوة بحضور حشد كبير من المفكرين والمثقفين والباحثين الكويتيين والعرب، تقدمهم د. محمد الجسار.

وتحدث الغنيم - خلال الندوة - عن مسيرته في مجالات البحث العلمي والتأليف، إضافة إلى إسهاماته في توثيق التراث الكويتي وتعزيز الهوية الثقافية، وأكد أهمية الكتاب والمعرفة في بناء المجتمعات.

جهود سعاد الصباح في تدوين التاريخ الكويتي

كما أقيم على هامش المعرض ندوة بعنوان "سعاد الصباح والتاريخ الكويتي.. الكتابة والمعاشية بين المشافهة والتدوين". وشهدت الندوة، التي جاءت ضمن فعاليات المهي الثقافي بالمعرض، استعراض ومناقشة عدد من الأوراق البحثية التي قدمها الدكاترة نور الحبشي، وعبدالله النجدي، وعلي الكندري، وأدارها مدير دار سعاد الصباح للثقافة والإبداع سعاد الصباح، الكاتب علي المسعودي.

والقى المتحدثون الثلاثة الضوء على ما قدمته الشاعرة د. سعاد الصباح للمكتبة الكويتية والخليجية والعربية والعالمية من إصدارات مهمة وملهمة.

استعدادات الكويت كعاصمة للثقافة العربية 2025

واستعرض المعرض خلال فعالياته الإطار العام

للاحتفال بالكويت عاصمة للثقافة العربية لعام 2025 متناولاً فكرة العواصم العربية وأسباب اختيار الكويت لهذا اللقب.

وتحدث في الجلسة د. الجسار، والمدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو)، د. محمد ولد أعر، بحضور نخبة من المهتمين.

وقال الجسار إن الكويت تحتفل العام المقبل بكونها عاصمة للثقافة والإعلام العربي، مبيناً أن هناك تنسيقاً بين المجلس الوطني للثقافة ووزارة الإعلام، بتوجيهات من الوزير المطيري فيما يخص الفعاليات والأنشطة وتوزيعها.

وأكد أن المجلس يسعى إلى تسليط الضوء على الثقافة في الكويت، مبيناً أنه داعم للثقافة، ويهتم للشراكة مع المؤسسات الحكومية والأهلية لإثراء المشهد الثقافي.

ولفت إلى أن الثقافة تعد أحد المحاور الأساسية التي تسهم في تعزيز الهوية الوطنية والتفاعل مع الثقافات العالمية، وفي هذا السياق تكتسب مبادرة اختيار دولة الكويت "عاصمة للثقافة العربية 2025" أهمية خاصة، إذ تمثل فرصة لتعزيز دور الكويت كمركز ثقافي رائد في العالم العربي.

وقال إن هذا الحدث المهم يعكس التزام الكويت بنشر قيم التسامح والإبداع والتنوع الثقافي، ويؤكد مكانتها كمركز حضاري في المنطقة العربية، كما يمثل فرصة ثمينة لتسليط الضوء على ما حقته الكويت في مجالات الثقافة والفنون وتقديمها كمثال يحتذى في تعزيز الحوار الثقافي بين الشعوب.

وبيّن أن المجلس الوطني سيعمل بالتعاون مع كل الجهات الحكومية والخاصة والمجتمع المدني على تنظيم مجموعة من الفعاليات الثقافية والفنية التي تعكس التنوع الثقافي العربي، وتدعم الإبداع والتبادل الثقافي بين مختلف الدول العربية.

وقال إن الاحتفالية تهدف إلى تحقيق عدة أهداف رئيسية، منها تعزيز الهوية الثقافية العربية من خلال إبراز الإنتاج الثقافي والفني المتميز في الكويت والمجتمعات العربية، وتعميق

أهم التظاهرات الثقافية

بدوره، عبّر د. محمد ولد أعر عن سعادته بمشاركته في أحد أهم التظاهرات الثقافية بالكويت، وعن سعادته لأن تكون الكويت عاصمة للثقافة عام 2025، مبيناً أنها اختيرت

وقال د. العسكري: الأثر الذي تركته الثقافة الكويتية في العالم العربي كان واضحاً من الطلب الكبير على مطبوعاتها التي تحافظ على مستواها ولم تنقطع عن الإصدار حتى فترة الغزو العراقي، كما تنطرق إلى المشروع الضخم الذي تبناه المجلس الوطني للثقافة لتقوم به المنظمة العربية للثقافة والعلوم، والذي ضم نقاشات حول كل قطاعات الثقافة والمسرح والسينما والموسيقى والكتب وغيرها، وذكر أنه بعد دراسة كافية لهذا المشروع، وضعت خطط شاملة للثقافة العربية، وطبعت هذه الخطط بأكثر من لغة، وكان الهدف أن تلتزم البلاد العربية بها في عمل عربي مشترك، كما أنتج المجلس الوطني "تاج العروس"، وهو عمل هائل له مكانته الكبيرة.

أما د. الزهراني فقد تناول تأثير المطبوعات الكويتية على ثقافة العرب بدول المهجر، قائلاً: في السنوات الأخيرة من الجامعة كنا نتسابق على شراء مجلة العربي، وأحياناً كنت أتعرف على بعض مناطق السعودية من خلال تحقيقات المجلة، مشيراً إلى أن الكويت شاركت في الفترة الذهبية للكتابة خلال السبعينيات، وساهمت بشكل قوي في مسيرة الثقافة العربية من خلال مطبوعاتها، وأردف: إضافة إلى مجلة العربي، كانت مجلة عالم الفكر رائدة في الخطاب الفلسفي، وكانت نافذة مهمة للطلاب العرب الذين يدرسون بالخارج، وخلال فترة الثمانينيات فتحت الإصدارات الكويتية لنا الأبواب للتفاعل مع الخطابات الفلسفية، حتى جاءت الـ "سوشيال ميديا" وأضعفت الحالة الثقافية وأحدثت إرباكاً، فلم يعد عند الناس شيء اسمه الفكر أو العلم.

بدوره، تحدث د. بكر عن تأثير المطبوعات الكويتية في مصر، فقال: سبق إصدار الكويت لمجلة العربي بإصدار مجلة الكويت عام 1928، وهذه البذور أنشأت حركة ثقافة ومعرفة متنوعة الأشكال، لافتاً إلى أن المطبوعات الكويتية كانت "نوافذ طليعية" تعبّر عن طموح فكري وثقافي يتجاوز الذات، ومضيفاً: المطبوعات الكويتية أثرت من الخليج إلى المحيط، ولا بد من الحفاظ على هويتها العميقة وتقاليدها.

إنساني، وتشجيع وتحسين المبادرات التي تقودها المدن لجعل الإبداع مكوناً أساسياً في التنمية الحضرية وتطوير مجالات للإبداع والابتكار في القطاع الثقافي وإتاحة التواصل والمشاركة في الحياة الثقافية والإدماج الكامل بين الثقافة والإبداع.

وقال إن "الكسو" تسعى من خلال عواصم الثقافة العربية إلى تعزيز قوة الثقافة من أجل الاستدامة في الوسط الحضري من خلال إسهامها في مجالات عدة، منها استغلال إمكانات الثقافة كقوة دافعة للتنمية الاجتماعية والاقتصادية، والاعتماد على الإمكانيات التي توفرها الثقافة كمصدر مستدام للقضاء على الفقر.

وبيّن أن المدن حاملة اللقب تعمل على دعم تبادل الخبرات والمعارف والممارسات الجيدة، خاصة مع المدن العربية المبدعة، كما تلتزم بإطلاق مشاريع وشراكات ومبادرات تجمع بين القطاع العام والخاص والمجتمع المدني.

وأكد أن "الكسو" تسعى إلى إنشاء شبكة نشطة من المدن العربية وعواصم الثقافة أكثر تواجداً واستدامة، لتصبح منصات مفتوحة لتواصل العقول وتطوير الأفكار وتشجيع الإبداع والمساهمة في تحقيق التنمية.

المطبوعات الكويتية وتأثيرها على الثقافة العربية

وأقيمت أيضاً ضمن فعاليات الدورة، بالتعاون مع مكتبة الكويت الوطنية، محاضرة بعنوان "المطبوعات الثقافية الكويتية وتأثيرها عربياً"، شارك فيها الباحثون الأكاديميون د. سليمان العسكري، ود. معجب الزهراني من السعودية، ود. أيمن بكر من مصر.

افتتح د. العسكري، الذي تولى رئاسة تحرير مجلة العربي سنوات طويلة سابقاً، المحاضرة، مستعرضاً نشأة المجلة التي صدرت في ديسمبر 1958، وقال: عندما صدر العدد الأول كانت مفاجأة لكل المشاركين في المؤتمر الرابع للأدباء العرب، وقد هنا رؤساء الدول العربية الكويت بصور المجلة.

سابقاً، وكانت عاصمة للثقافة عام 2001. وأوضح أن المنظمة تختار كل عام مدينة لتكون عاصمة للثقافة، مبيّناً أن القدس عاصمة متوائمة للعاصمة في كل عام للعاصمة المختارة.

وأشار إلى برنامج الاحتفاء بالعواصم الثقافية العربية، مبيّناً أنه أحد البرامج الرائدة التي أطلقتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الهادفة إلى دعم العمل الثقافي العربي المشترك والاحتفاء بالمدن ذات البصمة الثقافية.

وبيّن أن مشروع عواصم الثقافة العربية يهدف إلى إعادة تشكيل المدن وجعل الثقافة والإبداع قوة دافعة للتنمية المستدامة من خلال تحفيز النمو والابتكار وتعزيز التماسك الاجتماعي والتنوع الثقافي ورفاهية السكان، مع الالتزام بوضع القيم الثقافية في قلب التخطيط العمراني للمدن، وقال إن منظمة الكسو تسعى من خلال أنشطة عواصم الثقافة العربية إلى تحويل المدن إلى فواعل حضرية محورها الإنسان وغايتها الإدماج المجتمعي، حيث تركز على تسخير الثقافة والابتكار والصناعات المبدعة كمحركات للتنمية في مجمل برنامجها وأهدافها الحضرية المستدامة وأشار ولد أعمار إلى مرتكزات مشروع عواصم الثقافة العربية، ومنها دعم أواصر التواصل مع ثقافات العالم وتخليد المكانة الثقافية والحضارية للمدن التي حملت لقب عواصم الثقافة العربية.

كما تنطرق إلى معايير اختيار عواصم الثقافة العربية، ومنها الوضع التاريخي للمدينة المرشحة والمكانة الثقافية والإسهام البارز في الثقافة الإنسانية، وأن تكون المدينة مركزاً ثقافياً معترفاً به إقليمياً، ومقصداً للمبدعين والمفكرين في مجالات العلوم والفنون والآداب.

وأشار إلى التزامات المدن المرشحة لحمل لقب عاصمة الثقافة العربية، ومنها أن تلتزم المدينة بالترويج للقبها من خلال الأنشطة والفعاليات، وأن تؤكد المدينة التزامها بتنفيذ البرنامج المتفق عليه مع المنظمة.

وقال إن النتائج المنتظرة من هذا المشروع تتمحور في دعم المكانة الحضارية والثقافية للمدينة العربية، وجعلها مركز إشعاع وجذب

رابطة الأدباء الكويتيين شاركت بفعاليات مصاحبة وأنشطة متنوعة



ضمن جلسات ختام فعاليات «معرض الكويت الدولي للكتاب» حميدي المطيري: إنجازات متواصلة لرابطة الأدباء.. و«مفاجآت» قريبة

استعرض الأمين العام لرابطة الأدباء الكويتيين، م. حميدي المطيري، أهم المنجزات ومحطات التطور والتغيير في تاريخ رابطة الأدباء منذ نشأتها عام 1964 وحتى اليوم بمساعٍ كبيرة تطمح إلى تعزيز مكانتها وتطوير استراتيجياتها بمواكبة مع متطلبات العصر، وذلك في جلسة حوارية شارك فيها الحضور حملت عنوان «أثر رابطة الأدباء» ضمن فعاليات الأنشطة المصاحبة لفعاليات معرض الكويت الدولي للكتاب في دورته الـ 47، وشارك الحضور في مداخلات تناولت أنشطة وفعاليات الرابطة السابقة والجديد القادم ضمن موسمها الحالي والتجهيزات لاحتفالية الكويت عاصمة الثقافة العربية 2025.

أثر رابطة الأدباء

أكد الأمين العام لرابطة الأدباء الكويتيين م. حميدي المطيري أن الرابطة «تمثل إحدى المؤسسات الثقافية الرائدة في الكويت، وقد أسهمت بشكل بارز في تعزيز الحركة الثقافية بالبلاد، سواء من خلال إحياء الأدب الكويتي أو بناء جسر للتواصل الثقافي بين الكويت والعالم العربي. أسست الرابطة عام 1964 بهدف دعم الأدباء والمثقفين، وتقديم منصة لتعزيز الإبداع الأدبي، إضافة إلى التفاعل مع القضايا الوطنية والقومية والإنسانية».

الإسهام الثقافي

وأشار إلى أنه «على مرّ العقود، أدّت رابطة الأدباء الكويتيين دوراً محورياً في تنمية الفكر الثقافي بالكويت، حيث نظمت العديد

من الأنشطة والفعاليات التي تشمل الندوات الأدبية، والأمسيات الشعرية، والمهرجانات الثقافية.

ومن خلال هذه الأنشطة، نجحت الرابطة في تعزيز مكانة الأدب الكويتي وإبرازه على المستويين العربي والدولي. كما أتاحت للأدباء الشباب - من خلال إنشاء منتدى المبدعين الجدد عام 2001، وفي عام اختيرت فيه الكويت عاصمة للثقافة العربية - فرصة المشاركة والتعبير عن أفكارهم، مما أسهم في ظهور جيل جديد من المبدعين الذين ساهموا في إثراء الساحة الأدبية وما زالوا كذلك».

كما بيّن الأمين العام لرابطة الأدباء أن «الرابطة لم تقتصر على دعم الكتابة الإبداعية فقط، بل تجاوزت ذلك إلى تنشيط الحراك النقدي والفكري. فعبّر مجلة البيان التي صدرت عام 1966 عن الرابطة، والمنشورات الأدبية الأخرى التي تصدرها، تُطرح القضايا الأدبية بأسلوب عميق وتحليلي،

مما يعزز من مستوى الوعي الثقافي» وأوضح أن رابطة الأدباء الكويتيين تعتبر «مرآة للمجتمع الكويتي، حيث تهتم بنقل معاناة وهموم المواطنين من خلال الأعمال الأدبية. فقد تناول الأعضاء في كتاباتهم القضايا الاجتماعية والسياسية التي تشغل الشارع الكويتي، مثل قضايا الهوية الوطنية، والفساد، والعدالة الاجتماعية، مما جعل الأدب وسيلة للتعبير عن نبض المجتمع. كما سعت الرابطة لتسليط الضوء على تاريخ الكويت وتراثها الثقافي الغني، مؤكدة ضرورة الحفاظ على الهوية الوطنية في ظل العولمة».

وأضاف: «في الأزمات الوطنية، مثل الغزو العراقي للكويت عام 1990، كانت رابطة الأدباء الكويتيين في مقدمة المؤسسات التي عبّرت عن موقف الكويت وشعبها من خلال الإبداع الأدبي. فقد كان للأدباء الكويتيين دور كبير في توثيق هذه الفترة من خلال القصائد



العربية، والانفتاح على القضايا الإنسانية. ومن خلال جهودها المستمرة، ساهمت الرابطة في وضع الكويت على خريطة الأدب العربي والعالمي، وأثبتت أن الأدب والثقافة يمكن أن يكونا قوة للتغيير والبناء في مواجهة تحديات العصر.

وفي ختام الجلسة، صرح الأمين العام لرابطة الأدباء بأن إنجازات الرابطة لم تقتفِ بما حقته خلال موسمها الجديد من فعاليات وأنشطة مستحدثة، وتغييرات وثابة على مستوى الموضوعات والمحتوى، رغم الإمكانيات البسيطة والدعم المحدود للرابطة، لكن القادم يحمل الكثير من المفاجآت كمسابقة أدبية كبيرة لأعضاء الرابطة، وغيرها للمهتمين بالمجال الأدبي ومتابعي الفعاليات الثقافية التي ستعلن مع انطلاق فعاليات احتفالية «الكويت عاصمة للثقافة العربية» مطلع العام الجديد.

والمفكرين العرب للمشاركة في فعاليات داخل الكويت، مما ساهم في إثراء الحوار الثقافي العربي المشترك.

الدور الإنساني والأخلاقي

وإضافة إلى دورها الوطني والقومي، أشار المطيري إلى أن «لرابطة موقفاً أخلاقياً وإنسانياً واضحاً في القضايا العالمية، فقد أعربت عن تضامنها مع الشعوب التي تعاني الاضطهاد والفقر والحروب، من خلال إقامة فعاليات أدبية تبرز هذه القضايا وتدعو إلى السلام والعدالة. ومن خلال الأدب، قدمت الرابطة رسائل إنسانية تعبر عن رفضها للعنصرية والتمييز بكل أشكاله».

وأضاف: «رابطة الأدباء الكويتيين هي أكثر من مجرد مؤسسة ثقافية؛ إنها منصة تجمع بين الأصالة والحداثة، وتعمل على تعزيز الهوية الوطنية، والتفاعل مع قضايا الأمة

والقصص والروايات التي عبرت عن معاناة الشعب الكويتي وصموده».

البعد القومي والعربي

وأكد المطيري أن «رابطة الأدباء الكويتيين لم تكن معزولة عن القضايا القومية العربية، فقد تفاعلت مع الأحداث الكبرى التي مرت بها المنطقة، مثل القضية الفلسطينية، والحروب العربية، والثورات. العديد من الأدباء المنتمين للرابطة كتبوا عن معاناة الشعب الفلسطيني وأبرزوا أهمية النضال من أجل الحرية والكرامة. كما نظمت الرابطة فعاليات أدبية تضامنية مع الدول العربية التي مرت بأزمات، مما يعكس التزامها العروبي والإنساني، وعلاوة على ذلك، شاركت الرابطة في العديد من الملتقيات والمهرجانات الثقافية العربية، وكانت بمنزلة صوت للكويت على الساحة الأدبية العربية. كما دعت العديد من الأدباء



الغرافيتيا.. صرخة غزة المكتومة

إسماعيل الغراز *

مهما استبد العدو وعربد وقفز على المواثيق وعبث بالقوانين. فالغرافيتيا تحكي سيرة الوجود الفلسطيني ومسيرة الذات الفلسطينية المناضلة في كل تشابكاتها، تحكي علاقات الذات مع كل ما حولها، تنبش في مناطق العتمة والظل لتسكنها آمال الذات والآملها في أنسها وفزعها، في توافقاتها وصرعاتها، خصوصاً في غزة حيث التاريخ يُحرض الحاضر، ويقف يُدوّن في انتظار إعلان النتيجة. وحده الإنسان يقف بين قطبي الرّحى مستسلماً لفعل المقاومة، سبيله الوحيدة لعقد الصلح بين الأرض وماضيها، ولا صلح إلا باسترجاع الحق الذي ينتظر صاحبه ليزف البشرى، فالأرض عروس، ومن يطلب الحسنة لم يغله مهرها.

والملاحظ أن الفن الغرافيتي عند الشعب الفلسطيني عموماً يتجاوز حدود التعبير عن الذات، ليرتبط ارتباطاً وثيقاً بقضيته الأسمى، قضية الأرض والتاريخ والحضارة، وكلها لا تنفك عن المستقبل المؤجل، وهذه التيمات تحضر في الغرافيتيا حضورها في كل الأدب الفلسطيني المقاوم منذ النكبة وما تلاها، تحضر عند درويش وسميح وطوقان وكنفاني ووليد سيف، وناجي العلي الذي لخص حكاية الأرض والإنسان في قبضة الطفل حنظلة تلخيساً يختزل التاريخ وينبئ بالمستقبل الحابل بالرفض. حنظلة الأيقونة الفلسطينية التي لها من اسمها نصيب وافر، ذلك الطفل الذي وُلد وعمره عشر سنوات ويدير ظهره للعالم تعبيرا عن الرفض وعدم الرضا، فتجاوز حدود المحلية إلى التعبير عن الإنساني والكوني، يقطن الجدران وجذوع الأشجار وينظر إلى حلمه القريب البعيد الذي دونه خُط القتاد، كما يقول التعبير العربي. الغرافيتيا في فلسطين ليست ترفاً فنياً أو مجرد مُنفذ من منافذ التعبير التي تعقّبها الإنسان منذ القدم، بل هي صنو النضال وصدى الفعل المقاوم. وهكذا ارتقى فن الغرافيتيا إلى مستوى البندقية منذ الانتفاضة الأولى، فما كان من الاحتلال المأزوم إلا أن سخر ترسانته القمعية ولاحق الكاتبتين والراسمين على الجدران، فدهم المنازل ومسح الكتابات التي كانت تربكه وتدحض سرديته المزعومة وتعزّي بشاعته.

ولقد شكّل الحرف الواقف بشموخ فوق الجدران مظهرها من مظاهر تجذّر الوعي بالقضية.

عرف الإنسان من القدم طرقاً وأساليب للتواصل والتعبير عمّا يجيش في خاطره من أفكار وما يضطرب في دواخله من مشاعر، فكانت الإشارات واللغة وأنواع من الفنون من ضمنها الكتابة على الجدران، التي تسمى الغرافيتيا، وتصنف ضمن فن الهامش، لجأ إليه الإنسان لتوثيق اليومي من حياته على شكل كتابات وخرشيات داخل الكهوف والمغارات وعلى جدران المنازل وفوق الصخور، قبل أن يصبح فناً حديثاً ظهر أول ما ظهر في أميركا ثم أوروبا كظاهرة اجتماعية ثقافية مكنت شريحة واسعة من الشباب من إيجاد وسائل بديلة لبث رسائله الاجتماعية والثقافية والسياسية، بل تخطت كل ذلك لتعانق هموم الشباب الأنطولوجية، فانداحت هذه الظاهرة وتمددت وصارت رسائلها موجعة لمن يهمهم الأمر، خاصة أولئك الذين يتقلدون المناصب السياسية أو يلعبون في معتركها. وهكذا شكلت الغرافيتيا منافذ شعبية مكنت الإنسان من التواصل مع بني جلدته في ربوع المعمورة، مراسلاً تارة ومستقبلاً تارة أخرى.

ولا يهمننا في هذا المقام تتبّع تاريخ نشأة هذا الفن ولا رصد خصائصه وحصر وظائفه، ولا البحث عن خلفياته السيكلوجية والسوسيولوجية، لكن ما يهمنا هو رصد حضوره داخل غزة وعند أهلها، باعتباره إحدى وسائل التواصل مع العالم في ظل حرب ضروس متوحشة معدومة القيم منزوعة الإنسانية، وفي ظل حصار يكاد يسد منافذ الهواء بزاً وبحراً وجواً. وإن كان فن الكتابة على الجدران أو الأبواب أو النوافذ أو جذوع الأشجار، يشكل وسيلة للتعبير والتواصل، فإنه عند أهل غزة يتجاوز ذلك ليشكل قضية وجود في مجابهة أطول احتلال وأخبثه على الإطلاق، وقد جرب الغزاويون استصراح العالم بالكلمات الصادقة المتدرجة من حنجرة بحّها الألم ومشاهد الدماء والأشلاء والتقتيل والترويع، فكانت الأذن الصماء شبيهة الرصاص القاتلة، ووجدوا ركام المنازل المقصوفة وسيلة التعبير عن مكنونات الصدر وفحوى الضمير، ومراة عاكسة للوعي المتجذر بعدالة القضية وأصالة الحق وضرورة المواجهة وحتمية النصر،



غيرها، فلا تعابير ذاتية بمنأى عن الجماعة، فكل مضمون غرافيتي هو مضمون جماعي بالضرورة، لأن التاريخ واحد والقضية واحدة، ومشعل النضال ينتقل من يد إلى يد، ويسلمه جيل لجيل لا تذوي شعلته، ولا يضعف توهجه. ومن الكتابات الغرافيتية التي وثقت معاناة أهل غزة وأوجاعهم تلك العبارة المكتوبة بلون أحمر على جدار منزل تعرض للقصف في دير البلح: "جود تحت الانقاص"، وهي محمولة غرافيتية نشرتها صحيفة الشرق الأوسط، ولاقت تفاعلا واسعا، نظرا لعداحة المشهد وعمق الأزمة الإنسانية، حيث يقف العالم عاجزا عن إيقاف قتل الأطفال، بل يعجز عن مجرد استخراج جثثهم، ليُدْفنوا بكرامة. فلو لا الكتابة على الجدران وتوثيق أسماء الضحايا وذكر تواريخ استهدافهم ما عرف الضمير الإنساني بشاعة الفعل وتوحش الخصم.

والملاحظ أن غزة في فن الكتابة على الجدران نجدها تتحدث كل لغات العالم، فحين توجه الخطاب لأمته نجدها تلتزم حصرا باللغة العربية، وإذا خاطبت المجتمع الدولي والضمير الإنساني استعملت الإنكليزية، أما إن أرادت توجيه رسالتها إلى عدوها وظفت اللغة العبرية، والمغربت الغزاوي يستعمل في تدبيج رسالته غالبا الطلاء، مستعملا لونا واحدا أو ألوانا عدة، وأحيانا يستعمل الدم النازف من الضحايا، كما في العبارة الآتية "غزة تقاوم"، ولعل كاتبها أراد تتميمها بجملة "نيابة عن الأمة"، قبل أن يسلم روحه إلى بارئها، ولعل الغزاويين قد ابتدعوا طرقا في التعبير غير مسبقة، حيث نجدهم يكتبون على الصواريخ التي قصفوا بها ولم تنفجر في مشهد تولد فيه الحياة من رحم الموت.

و في نهاية هذا المقال، لنا أن نتساءل: إذا كان فن الغرافيتيا يُمكن الفرد من التواصل والتعبير باعتباره جسر النفس والعقل إلى بث الأفكار والمشاعر، فما هو المصطلح الذي يمكن أن نطلقه على ما عرفته غزة من كتابة الأسماء والألقاب على وجوه الأطفال الذين قتلوا بدم بارد حتى يتمكن أهلهم من التعرف عليهم إن كان لا يزال لهم أهل؟

(1) أحمد شراك، مقال أسئلة الغرافيتيا، مجلة الموقف الأدبي، العدد 395، مارس 2004.

لقد صَنَّفَ هربير الغرافيتيا إلى ثلاث مجموعات (1):

أ- الغرافيتيا المحفورة: تلك التي تعتمد وسائل حادة للحفر على الجدران وغيرها.

ب- الغرافيتيا المكتوبة التي تعتمد الفحم والطباشير وقلم الرصاص.

ج- الغرافيتيا التي تعتمد مواد مختلفة، مثل الملابس والمناديل.

وما يهمنا أساسا في هذا المقال الموجز هو ما يتعلق بالغرافيتيا المكتوبة، تلك التي لجأ إليها أهل غزة في الحرب الدائرة رحاها، وهي حرب حامية الوطيس شديدة الأوار، غير مسبقة، غيرت ملامح العالم وأعادت تشكيل وعي شعوب المعمورة تشكيلا كشف الكثير مما كان مستورا مخبوءا من المواقف والرؤى. أهل غزة الذين فرض عليهم الحصار واقعا وافترضا من خلال تحرّشات إدارة فيسبوك بالمدونين، ومحاولة إخراس أصواتهم بالحظر والتقييد والتضييق، فاستعاضوا عن ذلك كله بالكتابة على الجدران، في محاولة لكسر الحصار وإيصال أصواتهم الصامدة إلى القريب والبعيد وكذا العدو، من خلال العديد من الوسائط الغرافيتية وغير لغات متنوعة لمستقبلين مختلفين.

فعلى مستوى المحمولات الغرافيتية، تحتل الجدران المهدامة المساحة الأوسع من بين الوسائط التي استخدمها (المُغَرَّفَت) الغزاوي، حيث يغدو الجدار المنقّص رسالة في حد ذاته بغض النظر عما حوى من الكتابات ووعى من الرسائل، الجدار في هذا الواقع المتصدع بطاقة هوية أهل غزة وسجل تاريخ مكتوب بحبر هو أمشاج من البطولة والشقاء، والكتابة على الجدران في غزة، بقدر ما تُحفّز على الفعل، فإنها تقف شامخة متحدية أمام العدو لا تريبه من تمظهراتها إلا الصبر والصمود في تحدٍّ عرّ نظيره، والغزاوي في هذا الخصم ورغم المحن والإحزن غير غافل عمّن ساندته، يعرفه كما يعرف حظلة، ويذكره بالاسم مثلما يذكر نزار قباني جياد بني أمية، فيسدي واجب الشكر لمن كان سنداً ومُعينا، ويظهر ذلك في الصورة التي نشرتها قناة الجزيرة، وهي عبارة عن جدارية على ركام منزل دمره الاحتلال في غزة، قد كتب عليه "إنما الحب اليمن السعيد"، وهي عبارة من الناحية الأسلوبية جاءت بصيغة الحصر لتخصيص إحماض الحب لأهل اليمن الذين ضجّت الأخبار بهبّتهم لنصرة أهل غزة، متجاوزين القول إلى الفعل، حيث وصلت صواريخهم إلى عمق الكيان المحتل عن طريق المسيرة "يافا".

نفس المضمون الغرافيتي يتكرر مع الكتابة التي خطّها الصحافي الغزاوي محمود العمودي تحت صوت طائرات الاحتلال المقاتلة، يشيد فيه بالموقف النضالي للطالبة المغربية المتفوقة خديجة أحتور، التي أبنت نزع الكوفية الفلسطينية، رافضة الاستجابة لعميد كلية ابن مسيك بالدار البيضاء، محمد الطالب، فرفض تسليمها جائزتها قبل أن تتدخل إدارة المدرسة العليا لتدارك الأمر وتمكين الطالبة من جائزتها، مما أثار موجة من الغضب داخل الأوساط المغربية.

وإن كانت بعض الغرافيتيا تحمل معاني الشكر للمساندين، فإن منها ما يفصح عن مستجدات الحرب وأبرز تمظهراتها، كما تظهر الصورة التي نشرتها مجلة ميم مرآتنا، لعبارة مكتوبة باللهجة المحلية على جدار تاكل بعضه: "فلسطين كل يوم بتخلّف جنود"، في تناض مع خطاب الناطق الرسمي باسم كتائب القسام (أبو عبيدة)، الذي صرّح بتجنيد المقاومة لآلاف المقاومين، مفندا بذلك مزاعم الاحتلال بتقويض قدرات جبهة الصمود.

ولعل أشهر المضامين الغرافيتية وأنكّنها لجرح المحتل تلك التي تتغنّى بالصمود في تمسك بطولي بالأرض التي تحمل الإنسان الفلسطيني ويحملها معه، وفي هذا السياق تتوالى عبارات من قبيل "سنعيش صقورا طائرين وسنموت أسودا شامخين مدافعين عن بلادنا"، وقد كتبت هذه العبارة على حائط مبنى مغلق لوكالة أونروا، التي صنّفها الكيان جهة إرهابية، إمعانا في الإبادة التي اتخذها شريعة ومنهجاً منذ دخل فلسطين غازيا سارقا، فجاءت العبارة ضاحجة بمعاني العزة والإباء.

لكن ينبغي ألا ننسى أن الفلسطيني إنسان، تعثره لحظات ضعف كما تعثر غيرهِ أمام مشاهد القتل والترويع والفقد والتهجير وهدم المنازل فوق رؤوس أصحابها، فيهرع إلى الغرافيتيا للتنفيس عن كربه، بعدما أياسه صمم الآخر، وقد اختلطت في داخله أحاسيس الصمود ومرارة الخذلان، حيث كتب أحد أهالي غزة "سنمود يوما وستبقى تلك الأيام جرحا نازقا لا يندمل"، وكتب آخر "لقد مرّ الموت من أمامنا كثيرا ولم نمت، إنما أحياء، لكننا لسنا بخير".

ومعروف في عالم الغرافيتيا أن التعبير عن الذات يحوز قصب السبق وصفة الفضل، لكنّ غزة نسيج وحدها منفردة في اجتماعها، اجتمع فيها ما تفرق في



غسان كنفاني يجسد الوهم

عبد الهادي شعلان *

ربما تقتنع بفكرة وهمية ما تسيطر على حياتك حتى تراها أمامك متجسدة ككائن حي، تقرر بأك، تقف أمامك، تواجهك، تحدثها وتحديثك، تخبرك عن أشياء لا تعرفها، ربما تخبرك أنك ستموت، ستسيطر عليك الفكرة الوهمية حتى تخبرك بموعد موتك بالتحديد، فأنت لن تموت إلا في يوم ثلاثاء، في ساعة محددة، حددتها الفكرة الوهمية، هذا الوهم الفكرة المتجسد أمامك يمكنك أن تتابعه حين تطالع مسرحية جسر إلى الأبد لغسان كنفاني.

والمتابع للمسرحية يلتفت بشدة لهذا الشاب الذي يريد الانتحار وهو واثق بأنه لن يموت.

الشبح يحدد تاريخ الموت

تبدأ الإثارة في المسرحية تتكشف عن أعماق هذا الشاب فارس، فنعرف من لهجته التي تتغير تمامًا من عدم المبالاة إلى الانهيار الكامل، حتى كأنه كاد يبكي وهو يقول للفتاة رجاء "أنا مخلوق مسكين يا رجاء، إنسان يضع قدمًا في عالم مجهول ويضع قدمًا أخرى في عالم الناس الذين لا يصدقون، أكان

يريد أن يخبرها أنها حين صدمته فإنها أنقذت حياته من موت محقق هو يعرفه، فالحياة جاءت عن طريق التعرض للموت، كان التعرض للموت أنقذه من الموت نفسه، كأنها بصدمة بالسيارة وتعرضه للموت قد وهبته الحياة. ثم يطرح لها مفهومه عن الحياة "الحياة مرثبة بصورة لا تقدرين على تصورها، وأنت قمت بدور في تثبيت خطة الحياة حين سببت لي هذا الجرح" (ص 9)، كأنه في حوار مع الفتاة يريد أن يعاند القدر، أن يثبت لنفسه أنه لا يموت، بدا قويًا واثقًا، يريد الانتحار بثقة، هذه مقدمة تجعل المشاهد

لا يموت

تبدأ المسرحية بداية مثيرة لشاب تدهمه سيارة، نكتشف أنه كان يسير مفكرًا في أمر عميق، يسيطر عليه حتى أنه ارتطمت سيارة به وهو لا يهتم، وعلى الرغم من نوابه للخلاص من حياته، وارتطامه بالسيارة، فإننا رأينا يأخذ الأمر بيسر عجائبي واستهتار الواثق بنجاته، وكأنه لا يموت، قال للفتاة التي صدمته بسيارتها "أنت ترين أن القدر يريدني أن أموت في وقت آخر، وها أنت جئت لتحقيق إرادته من حيث لا تدريين" (ص 9).

أن يظهر، كان على استعداد للقاء الشبح بقوة، فهو الآن ليس وحيداً كما كان، الآن معه رجاء، لقد وجد من يصدق، هو سيجعلها ترى الحقيقة، وهو الحقيقة بالنسبة لها، ثم يأتي الشبح أثناء وجود رجاء مع فارس، وتقرر أن تظل بجانبه بعدما رأت صدق ما حكاها.

موت الشبح

ثم ندخل في العمود الفقري للمسرحية، فارس كان يريد السفر وعبور الحياة من الفقر إلى الغنى، ووالدته سيدة عجوز رفضت أن يسافر؛ لأنها مصابة بالعجز في قدمها وتحتاج إليه في أوقاتها العصبية بالحياة، وقالت له والدته إنه إن تركها ستموت بسبب غيابه عنها، سيقفلها سفره، لكنه سافر من أجل تحسين أوضاعه، تركها من دون كلمة وداع، وظل يكتب لها في الغربة لمدة شهرين دون أن ترد عليه، وحين عاد لم يجدها، واعتقد أنها ماتت كجيفة في الشوارع وهي تبحث عنه، لأنه تركها من دون أن يخبرها، وهذا هو سبب معتقده أنه قتلها بالترك، ظن أنه حين سافر ماتت والدته حسرة عليه، بل اعتقد أنها كانت تبحث عنه في الشوارع حتى سقطت ميتة لا يعرفها أحد، سيطرت عليه فكرة أنه قتل والدته بالترك.

بحسب رجاء عن والدته فارس؛ لأنها لم تكن مقتنعة بأن غيابه يمكن أن يقتل والدته بهذه الصورة التي يصورها له عقله، والتي يتوهمها فارس حد التصديق، واكتشفت رجاء أن والدته فارس ماتت بعد نصف ساعة من مغادرته البيت، التقرير يقول إنها ماتت في الساعة الثامنة والنصف من الصباح نفسه، ماتت من دون أن تعرف أنه غادر المدينة.

لم يكن إذن موت والدته فارس بسبب حزنها على فراقه وتركه لها، ماتت كإنسان جاءت المنية في مياعده المحدد القدرى المكتوب، إذن ففارس ليس بقاتل، لقد ماتت وهي راضية عنه، وحين عرف فارس أنه لم يقتل أمه، تغير كل شيء في كيانه، نور الحقيقة كشف أمامه ظلمة الشبح، وعرف أنه لا يستحق العقاب القاسي، وكان مُهماً أن يواجه الشبح، أن يواجه الوهم الذي صنعه بنفسه لنفسه، وهم الذنب الذي يضغط على الروح حتى يتمنى أن يموت، فقد اتضح أن الشبح الذي يأتيه هو وهمه الخاص الذي صنعه بنفسه وصدقه، لقد تصوّر الوهم حتى صار الوهم شبحاً يأتيه في الواقع، يحدثه ويلقي عليه التعليمات، لقد حوّل وهمه الشبح الداخلي إلى حقيقة.

وتنتهي المسرحية بقول رجاء "الليلة إذا ما أتى الشبح سأبصق في وجهه وأقول له أنت كاذب، كاذب، كاذب" (ص 80). وتدفع كلمات رجاء متابع المسرحية لمواجهة شبح الوهم الذي قد يأتي الإنسان ويسيطر عليه، حتى أنه يظهر له ويحدثه وينجس له شبحاً حقيقياً.

* كاتب من مصر



يسقط المسرحية، فهو عماد المسرحية، اختفاؤه يخفي أسباب تشويق المسرحية ويجعلها كأنها لم تكن.

جاء الشبح

المشاهد يبحث عن سبب لما يحدث لفارس، لماذا هو لا يموت؟ ولماذا كُتب عليه الموت هكذا يوم ثلاثاء؟ يأتيه الشبح ويقول "لأنك قتلت أمك يا فارس" (ص 26). وحين ألقى الشبح هذه التهمة على فارس أصابه الوجوم وأعقب هذا صمت مميت، وانفجرت موسيقى بعنف، وانتهت الحلقة الثانية كقطع ممين، ليجعل المتابع المشاهد في تشويق ليعرف حقيقة هذا الجرم الشنيع. يغزو الشك قلب والد رجاء حين تحكي له عن فارس الذي لا يموت، أرادت أن تجد من يصدقها فيما شاهدته بعينها، لكن والدها يكذبها، والطبيب لم يصدقها، صار العالم لا يصدقها كما لا يصدق فارس، وهذا يجعلها تشعر بالمعاناة التي يعانيها فارس، وكانت رجاء تصدق فارس بعمق قلبها، حتى أن والدها حين هدد بأن يبلغ الشرطة عن فارس كانت تضحك؛ لأن الشرطة لا تستطيع أن تعاقب فارس، فجرحه يلتئم في التو، كانت واثقة بأن أي أحد في الدنيا لا يستطيع أن يؤذي فارس، لأنه محصن حتى يوم الثلاثاء المحدد له أن يموت فيه.

وجدنا رجاء تعاني مما يعانيه فارس؛ حين لم تجد أحداً يصدقها كفارس "فقط صدقني يا بابا، فقط صدقني" (ص 43)، كل ما تطلبه أن يصدقها والدها بما رآته بعينها، فتذهب لفارس وتكون لحظة لقاءهما مفعمة بالصدق، فهو وحده من سيثبت صدقها، لأنها هي وحدها من يثبت صدقه، كلاهما يكمل الآخر من حيث لا يدريان، وكان لا بُد أن تدخل المسرحية منعطفًا يقترب من النهاية، فما داما معا والشبح يأتيه، فلماذا لا ترى رجاء الشبح؟ وظل فارس يصرخ في الشبح

يجب أن أتمرغ فوق الأسفلت وتحت العجلات حتى أجد إنسانا يصدقني" (ص 13).

بدأ أن كل ما كان بهمه من محاولات انتحاره أنه يريد أن يصدق أحد، أي أحد، ثم يطرح فارس أمراً غريباً هو عمود المسرحية "إنني ما فكرت بالانتحار، لكنني إنسان لا يموت بمشيئته" (ص 14).

ويحكي عن تجربته العجيبة التي تشدنا للمتابعة أكثر حين كان يقرأ كتاباً في منتصف الليل، والمطر يهطل في الخارج، وقرع باب شقته دقات غريبة، مع أن ماتت قد أمه وصار وحيداً لا يزوره أحد، وجاءه الصوت الطارق عميقاً، وأخبره الزائر بأنه سيشهد ستة أيام ثلاثاء، ولكنه لن يشهد الثلاثاء السابع؛ لأنه سيموت، وكان الصوت استطاع أن ينفذ داخل أعماقه، ومن هنا جاءت إرادته في أن ينتحر؛ كي يختبر أنه يمكن أن يموت قبل يوم الثلاثاء المحدد، أن يعرف حقيقة ما قاله الصوت الشبح الذي جاءه في الليل.

فارس موقن أنه حي، موقن أنه لن يموت إلا في الموعد الذي حدده له الشبح الزائر الغريب الخفي، والزائر كان يقف أمام فارس كالظل، كتلة صماء سوداء لم يستطع فارس أن يكشف ملامحه، أو طبيعته، وهذا يزيد الأمر غموضاً عند المشاهد والمتابع للمسرحية، فلا بُد أن يكون هناك استطلاع ورغبة في استكشاف كنه هذا الزائر الشبح الذي يعطي تعليمات قدرية، حتى أنه يتحكم في مصير فارس وموعد وفاته، هذا يزيد الأمر إثارة ويجعل المتابع مشدوداً لاستكمال العرض.

جرح يلتئم في الحال

ما حكاها فارس عما حدث معه استثار رجاء، وجعلها تخبره أن حياتنا المعاصرة خلت من الأساطير والأشباح، فالأشباح قتلها الفيزياء، لكنه لم يكن مقتنعا سوى أنه رجل لا يموت، ولكي يزيد المتابع تشويقاً، طلب فارس من رجاء أن تعطيه المرأة الخاصة بها؛ فكسرها وجرح نفسه، ومن العجيب أن جرحه التام في الحال وهو يردد "انظري إلى لحم ساعدي، افتحي عينيك جيداً" (ص 21)، وكأنه يعلم أن جرحه سيلتئم، وهذا ما حدث مع جرح السيارة، فحين التام ظننت رجاء أنه يدعي الارتطام بسيارتها، على الرغم من وجود الدم على ملابسه، إلا أنه لم يكن مجروحاً، وكان كل ما يطلبه فارس أن يجد من يصدق لكونه لا يموت، فجرح نفسه أمامها بشظايا المرأة، واعترف بأسباب حكايته لها "أردت منذ البدء أن أحملك قدرى، إنه قدر لا يستطيع إنسان واحد أن يحمله بمفرده" (ص 22).

ويظل التساؤل يتردد في عقل المتابع للمسرحية، لماذا يحدث مع فارس ذلك؟ ما الأسباب التي جعلت شبحاً يقوم بزيارته، نراه أمامنا يحدثه، هناك في الأفق خطيئة، ربما جاء الشبح بسببها، وعلى الرغم من أن دور الشبح بسيط لا يتعدى دقائق على خشبة المسرح، فإن وجوده في غاية الأهمية، فهو لا يمكن استبداله، وعدم وجوده

عتبات للوجع والتميه

قراءة في «السقوط من جنة الأسماء»
للروائية تسنيم الحبيب



حسام القاضي*

عندما شرعت في القراءة، واجهني مقطع شعري للشاعر حسن الفضلي في بداية الفصل الأول (مرايا)، كان عتبتني للولوج إلى العمل، ولقد تكررت هذه المقاطع الشعرية في استهلاكات فصول تالية ولشعراء آخرين، وكلها تدور حول القضية نفسها؛ قضية الهوية، لكنني أجد قصيدة الفضلي الأولى أكثر تعبيراً وأشد إيلاماً؛ فقد كانت المعبر التي عبرت من خلاله إلى عالم الرواية، وجاءت المقاطع كلها وكأنها «عتبات للوجع والنتية».

يقول الفضلي:

أنا الطفل الذي وقف اغتراباً
وقوفاً شيب القلب الفتى
أنا الطفل الذي سكت احتراقاً
ودمعي من جفاي شكاً إليّ
أنا الطفل الذي ظن انتماءً
فحلت خطوتني منفى قصي
يقتلني التشرد ذاك أني
أنا الطفل الذي دفنوه حيّاً

الرواية ثنائية الرواة، ولقد تساءلت بعد قراءة الفصل الأول الذي كان بصوت مجاب (بطل الرواية)، عن السبب في ظهور صوت ثانٍ أو راوي ثانٍ، وهي شقيقته خولة، وعبر الأحداث أيقنت أن الكاتبة أرادت الحكيم من خلال وجهتي نظر شقيقتين؛ ذكر وأنثى. الذكر مجاب شق طريقه في البحث عن هوية عبر هجرة غير مشروعة للخارج، بينما لم يكن بيد الأنثى خولة إلا البحث عنها في الداخل، لذا جاءت الحكاية بالتبادل بينهما، وفي خطين متوازيين لا يلتقيان إلا في نهاية العمل، وربما البحث في الداخل لا يقتصر على خولة ومن مثلها فقط، بل لربما امتد ليشمل الجميع في رحلة البحث عن الذات في رحلة التيه الكبرى، وكأن الجميع يشعر بغربة ما.

لم تعتمد الكاتبة على ما يُعرف بـ «الراوي العليم» المتعارف عليه، والذي يروي بضمير الغائب، ولكنها حكّت بما يُعرف بـ «الراوي المشارك» أو الحكيم بضمير المتكلم، وهو سلاح ذو حدين؛ فهو أفضل وسيلة للإفصاح عن دواخل الشخصية، إذ تتكلم بنفسها دون أي ظهور للكاتب، وفي الوقت نفسه يتطلب ذلك خبرة ومهارة عالية من الكاتب؛ إذ عليه أن يتقمص الشخصية التي يروي بلسانها حتى تأتي أفعاله وكلماته مطابقة للشخصية، ولا يشذ عنها؛ فبجحاه ينجح العمل وبإخفاقه قد يضيع، وللحكي بضمير المتكلم ميزة أخرى قد لا تتوافر للراوي العليم، فالأخير يجب أن يكون

محياداً، بينما الأول لا يجب ولا يفترض حياده؛ بل ومن الطبيعي جداً أن يكون منحازاً لذاته، وقد أجادت المؤلفة في الحكيم بلسان الذكر ولسان الأنثى، وهذا يُحسب لها. ولست بصدد سرد الأحداث، ولكن العمل يبدأ بعودة مجاب إلى مسقط رأسه، بعد غياب عشرين عاماً أمضاها في رحلة البحث عن ذاته، وكان أهله في انتظاره، وخاصة خولة، التي كانت تعتبره أباً صغيراً لها، على أن الأحداث لا تبدأ هنا، بل قبل ذلك بأكثر من عشرين عاماً، حيث يقرر الأب فاقد الجنسية هجرتهم جميعاً والبحث عن حياته بعيداً عنهم في لندن، بعد أن ينس من كل شيء معهم، وبعد عام يقرر تطبيق أمهم، ويتزوج ويتخلى عنهم جميعاً، وخاصة بعد أن رفضت الأم الالتحاق به في المجهول، ولم يكن أمام الأم المواطنة إلا الزواج من آخر (مواطن مثلاً)، وبرغم أنه رجل جيد لم يذخر وسعاً لإيوانهما بشكل كريم، فإنيهما لم يقفرا ذلك، بل حقداً عليه وعلى أمهما التي لا تتحمل وخزة إبرة لهما، والعجيب هو تقديسهما للأب الهاجر ومقارنته الظالمة دائماً بزواج الأم بمقارنات تكون دائماً في مصلحة الأب!

ربما أرادت الأم بزواجها إصلاح الأحوال، إلا أنها من دون أن تدري، وبدلاً من مداواة جرحهما، عتقتها، فقد نقلت مشكلة المجتمع الخارجي إلى داخل الأسرة، إذ شقت الأسرة إلى أسرتين، واحدة منبوذة بلا أوراق ثبوتية، والأخرى مواطنة يحق لهم مع أهم السفر للخارج وقت العطلات، بينما هما يمتكئان في الداخل فقط، لأنهما بلا جواز، مما أنتج عنه وعن غيره شرخاً نفسياً؛ تشوه نفسي في تكوينهما ظل ملازماً لهما أبد الدهر.

وإذا كان مجاب قد سار في طريق الأوهام والويلات خارج الوطن ليحقق ذاته، فقد سارت خولة في الداخل عارية القدمين في طريق الأشواك، وما كنت أظن أن الوضع هكذا.. كنت أظن أن المشكلة في التعامل مع الجهات الرسمية، فإذا بنا أمام مأساة يشارك فيها الجميع، لم يمكن أن يجول بخاطري أبداً أن تتعامل بعض القريبات مع قريبتهن بهذا التمر.. «كانت دلال تعيرني دائماً بأنني لا أسافر، تمد أمامي كلمة لندن حين تريني سلعة اشتريتها من هناك، أو تتحدث بلوم عن سعادة التحليق بين الغيوم...»، ولكن هذا تقريباً قبل نهاية الرحلة، أما عن وسطها فكانت كالتالي: فتاة بلا هوية بين أسرة مستقرة الوضع، ولا بُد لها من خفض سقف التوقعات والتخلي بقناعة فضفاضة،.... «الفتاة هذه لا بُد أن تقبل بالخاطب الكويتي وتشكر الفرصة».

وعليها ألا تفكر بالطلاق أبداً مهما أسينت معاملتها حتى لا تضيق فرصتها يوماً ما لنيل

ثبوتات رسمية.

« من مثلك ترضى بأزواج أقل شأنًا بكثير، أنت في نعيم... »

« إذن كهذا الأمر، لأنني النشاز في عائلة المواطنين عليّ أن أقبل بما يُتاح وأبلع الجمر وأصمت، لا بل أن أبلعه وأبتسم وأقهقه وأصفق حتى! »

ولذا وغيره جاءت النتيجة هكذا.. «أحياناً أفكر، أن أحوالي تبدلت بسبب ذكائي، يقال تَمَسَّكْتُ لِحْدٍ مَا تَمَكَّنْتُ».

وكانت نهاية الرحلة أن انفصلت عن زوجها بعد أن نالت الجنسية وأصبحت صاحبة حضانة، ثم تسأل في النهاية «هل أنا حقودة؟»!

ونعود إلى مجاب برحلة الآلام التي خاضها بكل تفاصيلها، بدءاً من مطار الكويت، ثم تايلاند، ثم حدود تايلاند، كمبوديا، ثم كمبوديا، فاندونيسيا عبر الأحراش والغابات سيراً أحياناً وغذاً أحياناً أخرى، وفي قوارب أحياناً في ظروف قاسية للغاية، ويُحسب للكاتبة سردها لهذه التفاصيل الكثيرة والمؤلمة للرحلة، والتي أكاد أجزم أنها عن وقائع حقيقية رويت لها (وهنا يُحسب لها صياغتها الدقيقة الصادقة)، والتي أوجزتها أنا هنا في بضعة كلمات فقط، وإن كانت تحتاج إلى مجلدات.

وهناك في أستراليا يبدأ في تحقيق ذاته عبر العمل والدراسة حتى ينال درجة الدكتوراه في القانون، فيقرر العودة للوطن، مُمِنياً نفسه بالعمل كاستاذ للقانون في الجامعة، لكنه نسي أنه عاد بشهادة كبرى وجنسية أخرى، وإن كان معتمراً قبعة أسترالية؛ ولقد نجحت المبدعة في بلورة المشكلة من داخلها، فنراها نحن القراء في أي مكان لأول مرة هكذا من الداخل لا من الخارج كما في الماضي، بل نعيشها كما يعيشها أصحابها.

ملحوظة أخيرة: لم يكن مستساغاً لي - على المستوى السلوكي وكذلك النقسي - تصرف مجاب حين طلب الزواج من طليقة صديقه د. عبدالرزاق، فعلى المستوى السلوكي لم يكن مقبولاً ممن عانى الظلم مثله أن يفكر في ظلم أحد، وخاصة عندما يكون هذا الشخص هو صاحب الفضل الأكبر عليه هناك، كما أنه كان نادماً على تسببه في الطلاق. وأما من الناحية الفنية (التقنية) فبرغم أن الراوي هنا هو مجاب نفسه، فإننا لم نعرف السبب أو المبرر لإقدامه على الزواج منها، لا بحوار مع أحد ولا حتى بحوار داخلي مع نفسه (مونولوج). وهذا بالطبع لا يؤثر على جودة العمل وجماله بسردياته المحبوكَة الشيقة ولغته الثرية.

* كاتب من مصر



الأرواح التائهة وتراويل الآلام في رواية «الرياح ترفع أسمائها» للكاتبة التونسية رشيدة الشاربي

محمد الحباسي *

في البدء: «الرياح ترفع أسمائها» رواية للكاتبة التونسية رشيدة الشاربي صدرت في طبعتها الأولى عام 2024 عن بيت الياسمين للنشر والتوزيع بمصر، وهي رواية شرعت الكاتبة في تأليفها صيف سنة 2014 بكندا، وأنهتها زمن «كورونا» في تونس، وقد أرجعت الشاربي هذا الاستغراق في الكتابة إلى أن التهافت على النشر لم يُغرها، كما لم يستهوها الصراع على الجوائز الأدبية، فكان كل الهم كما تقول «أن يكون قلبي بعمق الشخصيات التي أكتب عنها وبمستوى محنتها»، فالإبداع في تقديرها «لا يتم دفعة واحدة، إذ ينبغي أن يترك النص في كل مرة جانبا حتى ينضج»، غايتها من ذلك أن تقدّم عملا «مختلفا جديرا بالقراءة والتأمل». وقد تحدثت الكاتبة عن هذه الرواية وهي في مرحلتها الجنينية، في حوار أجرته معها مجلة العربي (عدد ديسمبر 2014)، فاعتبرت أنها «رواية تصوّر ما مررنا به من أوضاع صعبة ومظاهر مفزعة، هددت هوية الوطن، وهو ما جعلني أساءل عميقا حول المسألة الدينية، وأحاول من موقعي كمرربة بالدرجة الأولى، وكمثقفة أشعر بالمسؤولية تجاه الأجيال القادمة، أعتقد أنه ينبغي علينا بعد هذا المنعرج التاريخي الكبير أن نسعى إلى معالجة هذا الموضوع بحكمة ودراية» (1).

ولئن كانت الرواية، وقد اكتملت، وفيّة في جزء كبير منها لهذا الميثاق الروائي - إن صحت العبارة -، فإنها غاصت بعمق في قضايا أخرى لها صلة بالمسألة التي وعدت بالخوض فيها، وهو ما أكسب الرواية أبعاداً أخرى وجودية وفكرية ونفسية وحضارية واجتماعية عبّرت عنه تعييناً حيناً، وترميزاً في أحيان كثيرة الشخصيات التي بدت في الرواية أرواحاً تائهة ترتل قصص الأمها ومعاناتها، مرتدية أثواب الرموز وكاشفة عن مواقف الكاتبة مما أثارته وقائع الرواية وتجارب شخصياتها من قضايا تتصل بالوجود والوجود.

فما أسباب معاناة هذه الأرواح التائهة التي احتفت بها رواية «الريح ترفع أسماءها»؟ وما الأبعاد التي أوحتها وهي ترتل ألامها؟

● في عتبة العنوان «الريح ترفع أسماءها»، يوحي عنوان روايتنا أنها من صنف الروايات «التي تلهو مع الريح»، ولكن قراءة الأحداث تكشف أن الريح الوارد في العنوان لم يكن له حضور مباشر في متن الرواية، وإن كان مؤثراً في بعده الرمزي. فلقد كان الريح من أبرز عناصر الطبيعة التي وجد فيها الأدباء، كتاباً وشعراً، قيمة جمالية وطاقة دلالية تعبّر عن رؤاهم ومواقفهم من الإنسان والوجود، واعتبر عديد النقاد أن هذا الشراء في الدلالة ينبع من حركة الريح وتقلب أحواله.

وفي رواية الشارني بدا العنوان شعرياً ملحمياً نشأت فيه علاقة بين مفرد «الريح» وجمع «أسماء»، وبينهما فعل يمنح القوة للمفرد والرفع أو الترفع أو الرفعة أحياناً للجمع. فالرفع حركة رمزية تتجاوز ما هو حسي إلى ما هو ذهني فلسفي رمزي، ألم يعتبر نصر جميل الشعث أن «مرآة الريح هي العاكس الإبداعي الذي يسمو للتماس مع (كهرياء العقل)؟» (2).

فالريح في الرواية يتجاوز معناه الحاف، لينفتح على دلالات لبعضها علاقة بما يجب في النفس وللبعض الآخر علاقة بما يجول في العقل؛ إذ يستبطن الريح في حركته تقلب مشاعر شخصيات الرواية وتبدل أحوالها. بل إن الطريف في الرواية أن الكاتبة تنشئ، على وجه الإيحاء، علاقة بين الريح وأسمائها في أحواله المتقلبة والشخصيات بتبدل أسمائها وتقلب أكوانها، ففي الواقع لم يكن تعدد أسماء الريح عبثاً، فمنها ما يهدم ومنها ما يخلص، منها ما يدمر ومنها ما يحمي، فقد «كانت الريح منذ قوة غيبية تقتلع مدناً برمتها أو تجبر عدلاً مهضوماً، فهي بهذا المعنى قوة واعية أو مدفوعة بقوة واعية» (3).

كما لم يكن تبدل أسماء بعض الشخصيات (سيلين، فيكتور، صوفي) مجرد خطوط تُحمى وأخرى تكتب، وقد خلف التغيير ألاماً وجرواحاً كما تخلف الريح ندوباً وكلوماً. مثلما أن الريح في رفعها لأسمائها أوحّت حركة فكرية فلسفية عمّقت أبعاد الرواية وفتحت الدلالة فيها على آفاق رحبة

تتجاوز ما هو اجتماعي إلى ما هو وجودي. فتتحرك الرواية «على قلق»، ممطوية أجنحة الريح ومتلونة بأسمائه ومتحولة بتقلب حركاته. وتسكن أحياناً وقد رفع الريح أسماءها كرفع الله المسيح ليسمو بها عن عالم الفقد والفاجعة، ألم يقل فيكتور قبل انتحاره: «أتمنى أن يرفعني الله إليه كما رفع المسيح ابن مريم» (الرواية، ص 33). فكان الكاتبة تخلق من الريح وسيلة فنية ضمن ما يسمى بـ «فن الحماية»، لترتفع بشخصياتها الموجوعة من عالم الألم والوضاعة إلى عالم السمو والصفاء، فتصبح بغياها في عالم السماء شاهدة على عالمها، بعد أن شهدت تغيبها وتغريبها في عالم الأرض، فتظل أرواحها وقد رُفعت معلقة بين عالمين تروي مأساتها وتشهد على ماسي الأحياء من بعدها. فينظم الريح ما انفرط من عقد المأساة، وينسج خيوط الحكاية التي تشظت بأصوات آتية من عالم السماء حيناً ومن عالم الإنسان حيناً آخر، يللملم تفاصيلها صوت الذكرى بتداعياتها مرة وصوت الحاضر بترائيله مرات أخرى.

● الأرواح التائهة في رواية الريح ترفع أسماءها... «العمر دوائر من الحكايات العجيبة» تبدو شخصيات الرواية «مسكونة بالفواجع» (الرواية، ص 41)، كما تقول رحاب متحذثة عن صفاء في الفصل السادس. وهي شخصيات «حفظت الكثير من تراويل الألام عن ظهر قلب» (الرواية، ص 26)، فاختلفت تفاصيل حياتها وظلت المأساة واحدة، مأساة شخصيات غارقة في ذكريات ماضيها، متورطة بماسي حاضرها - الابن فيكتور/ سليم: ذلك العازف المخملي الجميل الذي «استحال مخلوقاً تائها يعيش الموت في الحياة». بدا في الرواية «روحاً تائهة وقلبا معطوباً نسيته النوات والقصائد ولم يعد يصلح للحياة» (ص 10)، بعد أن سلبه الأب القادم بعد غياب اسمه وجسده وفنه ومعتقد، فيروي، على وجه الاعتراف، مأساته وتفاصيل معاناته في الحياة بلا زيف ولا قناع وقد تمرقت أشلاؤه وتناثرت في سكة القطار، ليمكث جسده في الأرض وترتفع روحه إلى السماء، وليصبح هو «الميت في الأرض الحي في السماء، المطل على الدنيا من عالم البدء والمنتهى» (ص 10).

مأساة فيكتور، أو سليم كما شاء له الوالد أن يكون، وقد سلط عليه اسماً لا يريده، فكان ظهور الأب فجأة في سمائه سبباً في تغيير حياته رغماً عنه اسماً وديناً ودنياً. يروي فيكتور مأساته وهو في عالم الأموات «حيث ترسب بذاكرة الروح الجراح الأشد حدة وتعلق اللحظات الفارقة» (ص 10)، وقد مرق الأب فيه الروح قبل أن يمرق القطار جسده بعد أن أضحى غريباً يسير مقتفياً ظله، هائماً في غربته. يقول فيكتور:

«أصبحت الغريب بينكم، أنسحب إلى حجرتي كلما ضحكتم، وأحتضن كمنجتي، ثم أشرع في تحريك أناملي المثقلة بالمرارة، يتوغل اللحن في أعراس روحي حتى تصيبنني موجة ضيق

وتوتر» (ص 32)، فاضحت حياته موحشة رغم أنه لم تغادره «روائح الماضي وأصوات الحياة» برموزها؛ الناي والتراويل. فكان الانتحار التراجيدي بالنسبة إليه تحريراً لروحه «المحبوسة داخل الكيان الغريب» أقبل عليه «كبطل تراجيدي لا يهاب النهايات الفاجعة»، لينسحب من الوجود وقد ضجّ منه بعد أن احترقت أوراق سعادته والتبس الوجود عنده، وصار «هائماً في أقاليم بعيدة» وعجزت نفسه عن التطهر من الألام، وقد تشظى إلى كيان مشوه «مشطور في الأرض» وروح «شريدة في متاهة السماء». يقول فيكتور مرتلاً ألامه، وقد «حلق خارج الوقت» وباعدت مسافات الفراغ بين روحه والأرض: «أتوقف للحظة فيمّر أمامي شريط العذاب الذي عشته، ويوقد رغبتني في الانتقام لجسدي المقهور وقلبي المنسي وعمري الذي توقف في صحراء قاحلة بلا نهاية» (ص 12)، ليظل «روحاً هائمة إلى يوم البعث العظيم» في «متاهة السماء» يطل على «قاع الدنيا» ويشهد على «قيظ المحرقة».

- الابنة صوفي/ صفاء: «الكائن البريء الذي نال فوق طاقته من العذاب» (ص 93)، أو الفتاة التي عاشت في «قبضة الموت المتكرر»، حتى صار الوجد ساكناً لقاعها من دون أن تمتلك القدرة والقوة على الصراخ، فقدت الأب والأم والأخ، بعد أن فقدت الاسم امتثالاً للأب، حتى أنها تقول في لحظة اعتراف: «أنا لا أحياء وإنما أتحمل حياتي» (ص 16)، تلعن القدر الذي سرق منها كل شيء وابتلاها بالفقد، والحياة التي سلبتها البسمة والبشر الذين أدخلوا إلى قلبها المروع حزناً ملاً حياتها حتى صارت تحيا رغماً عنها، وحتى أن الموت صار لا يخيفها، تقول صفاء: «ما يخيفني حقاً ويرعبني هو هذه الحياة» (ص 19).

فراحت تبحث عن الصفاء الذي لا تحمل منه غير الاسم، عن «صوت بشري يثير الكلمات والصخب من حولها ويرتفع فوق صوت الموت الذي يسكن كل الزوايا ويحتل أعماقها» (ص 59)، حتى صار نزيّف أوجاعها «ينساب على الطريق» فصفاء هي وجه من وجوه المأساة، وجه «مطعون بالألم»، انهالت عليها الألام من كل حذب وصوب، حتى أنها قالت في رسالتها لابنة خالتها رحاب وقد ضاقت بها الحياة: «الآن أنا وحيدة في مهبط الألم والذكريات (...)، لقد تغلغلت في المواجه إلى حد بّأت أرى فيه حياتي تفرّ مني وتجري خارج جسدي» (ص 87).

- الأم سيلين/ جنات: عاشت الشقاء في الحياة والحرمان بعد الموت، وقد رفض محافظ المقبرة تحقيق رغبتها في أن تدفن في تونس إلى جوار زوجها طاهر الكافي «الذي أحبته بقوة وأخلصت له حتى آخر رفق، وفكرت أن روحه ستبقى معذبة لو دفنت بعيداً عنه» (ص 6)، فكانت في الرواية ضحية لصفائها ونقائنها وطيبة قلبها «ضحت كثيراً وتنازلت بشكل مروع عن أمور مقدسة في حياتها من أجل وحدة أسرته» (ص 56).

- رحاب: «القلب المنهك بالحجب»، أو الفتاة التي «لم تتقن شيئاً في حياتها مثل الهرب من

والحيوانية أيضا، ألا يكفي كل هذا؟» (ص 64).
فالكاتبة الشارني تؤمن بأنه غبي كل من يحتكر اسم الرب، فيشرع ويفتن ويغير مصائر العباد. يقول الحاج مصطفى محدثا عن سليم، ومعبرا ضمينا عن موقف الكاتبة: «هذا الفتى الذي عانى وتعذب وصبر حتى فقد الصواب يحمل دمنا، نحن ندين ما أقدم عليه في العلن، ونحاكمه كمنزنب ونكفره، لأننا لم نعش المازق الذي عاشه، ولم نحس بما جاش في صدره، ولكن حين نختلي بأنفسنا ونفكر بهدوء نشفق على الآلهة ونتضامن معه، تلك الروح التي صعدت إلى السماء محملة بالذنوب هي الآن ملك الخالق، ولا يحق لمخلوق أن يحاكمها، إن الحقيقة تتجاوزنا وعدالة الله وحدها تملك حق المحاسبة» (ص 65)، وإنه من السخافة والتفاهة احتكار اسم الرب للتحريم والتكفير عن غير عقل وعن غير روية.

يقول سليم، وقد وقف على حافة سطح الدار في تونس مهددا بالانتحار: «أيها العالم التافه السخيف، إنني لم أعد أطيقك، ولا أحب أن أنتهي إليك، الموت أرحم لي من الخضوع إلى الأغبياء الذين يحتكرون اسم الرب ويقودونك» (ص 68). فالكاتبة ترى ما تراه الأم سيلين/ جنات من أن الأسماء تختلف ولكن المعاني تتشابه، وأنها «كلنا أبناء رب واحد، نسعى أن نحمل أسماءنا صفاته ونتجمل بطاعته» (ص 30)، وأن الشرائع أصبحت بسبب أدعياء التدين تفرق بدل أن توحد، رغم أننا جميعا مخلوقات لرب واحد.

ولم تكتف الكاتبة بتشخيص الداء، بل وصفت كذلك الدواء، فرأت في الحب بلسما لعذابات الإنسانية من شرور الكراهية والتشدد الأعمى، وفي الحرية سبيل اعتناق من إفسار الجهل والخرافة والتزمت، وفي الفن تراتيل أمل وحلم بغد أفضل يسوده الصفاء والتسامح تحت سقف سماء واحدة وتحت ظل رب واحد.

- في الحب: ترى الكاتبة على لسان رحاب محدثة عن صفاء أن «الحب وحده يستطيع ترميم تلك الشابة الشفافة التي طوقت الإحزان قلبها» (ص 102)، لأن الحب يعلمنا عشق الحياة وينقذنا من الموت البطيء، وهو طريق لاكتشاف الذات وبلوغ بر الأمان ونشوة الروح، كما كان في حياة جنات / سيلين بلسما لجراحاتها، تقول الأم جنات متذكرة زوجها طاهر: «تعود مشتاقا وحزينا بعد غياب طويل ونتحول بمرور الأيام إلى كيان واحد لا يفرق بيننا انتقاء أو عرق أو دين، كنا عاشقين جمعهما الحب تحت سماء واحدة» (ص 130).

- الحرية:

الحياة بلا حرية، كما تقول رحاب لحظة اقترابها وصفاء من مبنى وزارة الداخلية في تونس، «روح بلا قيمة وحياة بلا معنى»، فالحرية منبع الجمال والإبداع وشرط الوجود، والتصديق على حياة الناس من أدعياء التدين يحول جنتهم إلى جحيم وتراتيل فئهم إلى تراتيل آلام. ولعل التحرر من الأوهام والخرافات والقراءات الخاطئة

الدين ومقاصده الحقيقية. فنظرت برؤية الأديب في بعض المعتقدات الدينية التي تتنافى مع نعمة العقل ونور الفكر، معتقدات كرس وجودها المتشددون في الدين والمغالون فيه يتاجرون بالأم الناس ويستغلون جهلهم بأحكامه، فيعمقون ماسيهم بدل أن يكونوا لهم بالدين سندا وجناح رحمة؛ فالمرأة الصالحة حسب تفسيرهم لقوله تعالى: «نساؤكم حرث لكم» لا تفشي سر زوجها ولا تتحدث عنه بسوء ولو قطعوا جسدها، إن ظلمها في الدنيا فإن كتمانها فضيلة، وتحضنها بالستر والصبر حسنا يجازيها الله عليها في الآخرة» (ص 109)، والميت الأجنبي لا يُكرم بدفنه في مقابر المسلمين، حتى وإن أعلن إسلامه إلا بعد توثيق ذلك بورق مكتوب، وهو ما يشوه الدين على يد من يذعنون للتدين «فمتى كان الإسلام بالوثائق؟» يقول محافظ المقبرة، رافضا دفن سليم وجنات في مقبرة المسلمين: «لا يجوز دفن الكافر إلى جوار المسلم، أتريدون أن أرتكب ذنبا وأحرق بنار جهنم؟» (...) لن أبيع ما يمنعه الدين والأعراف والتقاليد» (ص 5)، وهو في ذلك يذكرنا بقول المفتي في باريس لما امتحن جنات لنيل شهادة اعتناق الإسلام: «سارتكب ذنبا لا يُغفر لو قبلت شهادتك، ولسوف يلقيني ربي في نار جهنم بسببك» (ص 8)، وهو ما يتعارض مع جوهر الدين الذي أعلى من شأن الإنسان وأكرمه في حياته وفي مماته. تقول صفاء «بقوار»: «هذه أرض الله وجميعنا مخلوقاته، عندما نبعث سوف يحاسبنا إله واحد، ونخضع لعادته، ومهما كان اختلافنا، يظل الإنسان أكثر قداسة من التراب» (ص 8). فوجدنا عديد الشخصيات في الرواية تائهة، تقف موقف الضحية في حياتها وفي موتها لمن يدعي التدين والتفقه في الدين، فيرتكب الفظائع والجرائم باسمه. فسيلم مثلا كان ضحية والده الذي غيّر دينه واسمه، بل وتحكم في جسده وهو حي، ومحافظ المقبرة ظلمه، ورفض أن يحتضن الثرى جسده وهو ميت. فيرفع يديه يشتكي إلى الرب قائلا: «أيها الغامض الذي ينظر إلي صامتا، لقد أضاعوني باسمك» (ص 15).

ويقول في مقام آخر «وصرخت أحيانا مستغيثا بالرب الذي يشاهد آلامي من السماء وتوسلت إليه: «خلصني يا رب، خذني إليك يا واهب الحياة، فلقد قهروا الجسد الذي خلقت...» (ص 33). فعاش سليم على خلاف أمنية أبيه عليل القلب، تائه العقل، ألم يقل له الأب مبشرا لما قرر تغيير اسمه: «منذ اليوم أنت مسلم على دين آبائك واسمك سليم ومعناه المعافى (...)، أتمنى أن تعيش سليم العقل والقلب» (ص 82)، فإذا ب «الأيادي العمياء» تهدم المجتمعات بدل بنائها وتنشر الأمراض بدل أن تكون للناس بلسما وشفاء، فيحول المتشددون والمغالون في الدين حياة الناس إلى ماسي. يقول سليم راذا على كلام أمه عن أن «المسلم على دين أبيه»: «إنني مؤمن حد النخاع برب السماء اللانهائية والمجرات العائمة والبعث والحساب والمحبة الإنسانية

نفسها» (ص 112)، ظلت تبحث في حياتها عن صفاء الصفاء الذي يعيد التوازن إلى حياتها، وتتوق إلى من يحررها من أغلال الخوف، تمسك بيد شعلة الحرية، وتطمس بالأخرى قلبها» (ص 115)، كما كتب الفنان التشكيلي منير اليحيوي في إحدى رسائله إليها. لذا بدت رحاب تائهة في تونس، كما في باريس، تبحث عن للمة جراحها وسكون روحها التائهة، ترتل الآلهة بصمت وتهرب أحيانا من عذاباتها إلى عذابات الآخرين، عل في معانقة روحها لأرواحهم يكون البلسم والشفاء والملاذ.

وفي الحقيقة، فإن التيه والألم سكن أغلب شخصيات الرواية، فالأب طاهر الكافي، الذي اقتحم على العائلة سكينتها قلب حياتها رأس على عقب، كان هو ذاته يعيش صراعا خفيا بين الرغبة في الالتزام الديني وبين نداء الدنيا يستهويه بملاذاته ورغباته، وكأنه بتشدده وتغييره لحياة عائلته يكفر عما يعتقد في نفسه من تقصير في حق الرب. أما هالة فتبدو وجها مزحما بالتعب، وعزيز ابنها الذي تخلت عنه لما تركته وحيدا عند جدته كان يحمل وجعا أكبر من سنوات عمره، في حين أن جمال، حبيب الماضي، ظل تائها بين الأماكن التي شهدت حبهما، فهجر التمثيل والحياة، بعد أن اصطدم بالواقع المرير. أما كريم (ابن أخت رحاب)، فقد كان يسجنه صمت الزوجة الرهيب، وقد ظلت طوال حياتها معه «صامتة كتمثال، وكأن لا شيء يثير المعنى لديها ويحظى بابتسامتها» (ص 43)، وقد عاشت هي الأخرى مأساة تخلي والدتها عنها، وتركها للخوف ينكل بها وللوحدة تفترسها.

• تراتيل الآلام في رواية الريح ترفع أسماءها: من نحن في هذه العتمة اللانهائية؟

- في المسألة الدينية: تقاطع في رواية الريح ترفع أسماءها البعدان المحلي مع الإنساني والتاريخي مع الأدبي، من دون أن تتحول الكتابة الروائية إلى سرد تاريخي جاف، ومن دون أن تقع في التصوير السطحي للواقع بوقائعه وحوادثه، فالكاتبة تعالج من خلال سرد ماسي الشخصيات قضايا عديدة ذات بُعد اجتماعي وفكري فلسفي وجودي، فيها ما لامس المحلي، وفيه ما عانق من الآلام شخصها أوجاع الإنسانية جمعا. لكن المسألة الدينية كانت قطب الرّحى في الرواية، وهي في تناولها لها لا تدعي أنها تنظر إليها كما نظر إليها الفلاسفة وعلماء الاجتماع وعلماء النفس وعلماء اللسان في العصر الحديث (مفهوم الدين وبواعث النزعة الدينية وعلاقة الفلسفة بالدين والجوهر والعرض في الدين ولغة الخطاب الديني...)، فخاضت في هذه المسألة الدينية تسير أغوارها من زاوية الاعتقادات الدينية، بحثا عن التخلص من إفسار الوصاية الدينية التي يفرضها من نصبوا أنفسهم أوصياء على الدين وأتباعه، وتوقا إلى أن تحلق بالفكر خارج القضبان التي تقيده والحجب التي تمنع العقل من فهم حقيقة

للدين وأحكامه سبيل للانفتاح على المعنى الحقيقي للحياة وعلى الجوهر النقي للدين. في الفن: تقول سيلين وهي تشجع ابنها على الاستمرار في العزف: «الفن صلاة وخلاص وعلاج» (ص 63). وتقول في مقام آخر مخاطبة صفاً ومتمحثة عن سليم: «لو تجاهل قليلاً وتناسى وتمسك بالعزف لشفي، الفن علاج للروح» (ص 133).

فالفن، كما تقول رحاب، معبرةً ضمنياً عن رؤية الكاتبة، يكسر أغلال الخوف ويأخذ روحها إلى عوالم سرية من الدهشة والفرح ويحررها، فالفن يظهر النفوس من أرواحها الشريرة، وهو سلاح يقاوم به المرء ما ينشره الأغبياء من مأس وما يبذرونه من أشواك وما يخلفونه من جراحات. فالحيات بلا فن سجن وعبت وتيه وعمى. ليست يد الفنان كما خطت رحاب على دفتر الفنان منذر

الحياتي:

«ظل تح الإله

تفتح آفاق السماء

وترى الهباء المنثور

ومناهة اللاشيء

وأبعد من العمى» (ص 114).

وقد حفلت الرواية كذلك بأبعاد أخرى تتصل بمجتمعها التونسي الشرقي، فتناولت قضية المرأة المضطهدة في مجتمع يحصر دورها في الإمتاع والإنجاب، فإن حاولت تغيير وضعها البائس والثورة على الخطوط المسطورة، فهي مصدر للعناء. يقول موظف الولاية متحدثاً إلى صفاً ورحاب: «لماذا كل هذا العناء؟ ألا يكفي أن تنغص المرأة على الرجل حياته في الدنيا حتى تلاحقه إلى الآخرة؟ كل ما يتمناه الواحد منا ألا ينهض يوم الحساب فيرى زوجته أمامه؟ يا إلهي كابوس في الدنيا والآخرة؟» (ص 82)، وهي إن حاولت التحرر من قبضة الرجل وتسلبه واستبداده مجلبة للعار، تقول والدة حورية متحدثة إلى ابنتها بعد طلاقها: «الطلاق حرقه في القلب وعار كبير يا ابنتي، حتى لو كنت ضحية بلا ذنب، سيتحدث عنك الناس وأهلنا في البلدة وتونس، ولن ترحمك الستهم» (ص 151). وتتذكر رحاب كلام والدتها وهي تحتضر: «إياك والطلاق، إنه مذلة للأبناء وتعب للزوجة وعار للعائلة» (ص 151).

مثلاً تناولت الكاتبة قضية أو مأساة الهجرة السرية وقد بدا «المتوسط» صراطاً غير مستقيم يبتلع الأبرياء بلا رحمة، وارتمت فرنسا وأرض أوروبا في مخيلة المهاجرين اليوم في صورة الجنة والخلص، بعد أن كانت بالأمس القريب (إبان الحرب العالمية الثانية) محرقة للتونسيين وآلاف الجنود والأفارقة الذين أقحموا في محرقة لا ناقة لهم فيها ولا جمل. فيهاجر إليها الشباب اليوم بحثاً عن العيش الكريم، متناسين أن أوروبا قلب منغلق على تاريخ من الآلام وخاصة محفورة بالطعنات» (ص 96). كما تعرضت الكاتبة لفترة حالكة من تاريخ

تونس السياسي، ساد فيها الظلم واغتصبت الحرية، حتى أصبحت الحياة في ظلها بلا معنى. فتصف الساردة شخصية رحاب لما اقتربت رفقة صفاً من مقر وزارة الداخلية: «تشعر رحاب وكأنها في معسكر ومتهممة باقتراف أمر تجهله. ويراورها إحساس وهي تقترب مع صفاً من مبنى الوزارة أنها روح بلا قيمة وحيات بلا معنى»، لذلك تتساءل في سرها وهي تتجول في أرجاء باريس «منبهة بطفرة الحرية التي تعيشها وماخوذة بفيض هائل من السلام الداخلي، (...) كيف لها أن تمشي كل هذه المسافات ممتلئة بوجودها على نحو لم تعرفه من قبل، وحررة طليقة من دون توجس أو خوف». فتقول مناجية نفسها: «أيتها المرأة المتقوقعة داخل تجاويف صدفة، القادمة من الثكنة التونسية نحو الضوء الباريسي الباهر» (ص 98).

ولئن كان هاجس الكاتبة في بعد منه محلها بالأساس، فإنها لم تهمل في الرواية أبعاداً أخرى إنسانية ووجودية وفلسفية تتصل بالإنسان ومنزلته في الوجود، فأثارت مسألة أهمية البعد الروحي أو الإيمان في حياة الإنسان، كما تعرضت لقضية التفاعل بين الحضارات والحوار بين الأديان وما يشوبها من صدام مفتعل لا علاقة له بالحضارة ولا بالشرائع، على أمل أن «تتحدى الأرواح وتتجاذب وتعبير المسافات العارية وتتقارب، بعيداً عن اللون والجنس والانتماء».

والرواية، وإن كانت صدى لتراويل آلام أرواح تائهة وصوتا لشخصيات مفجوعة بمأساتها، فإنها لا تغرق في السوداوية أو العدمية، بل تفتح أفاقاً جديدة تفترض الوعي بقدرة الإنسان على نحت مصيره وتأصيل كيانه في الوجود بفكره وعلمه وفنه، وبإيمانه بقدرته على الخلق والإبداع، رغم الأحزان والآلام. تقول صفاً في حوارها مع رحاب: «نحن في نهاية الأمر نتاج الضربات القاسية التي نلتها ميكراً»، فتجيبها رحاب: «بل نحن نتاج قدرتنا على مقاومة تلك الضربات، لا أحد يستطيع أن ينجو من الموت (...) ما هذه الدنيا إلا رحلة قصيرة علينا أن نغير أيامها بقلب شجاع، وإلا سحقتنا الزمن وتجاوزنا باكراً» (ص 92).

وقد بثت الكاتبة هذا النفس التفاؤلي في كامل فصول الرواية، حتى أن سليم المنحتر يقول لشقيقته صفاً: معذراً ومرشداً: «سامحي نفسك وتوقفي عن لومها ولا تعطي الخسارة فوق ما تستحق، فعمرك مازال يتسع للحب والفرح» (ص 37)، فالعمر كما ترى الكاتبة على لسان رحاب «دوائر من الحكايات العجيبة، ومن الغريب أن تغمرنا بعد الانحدار المرعب للحياة حالة من الاستسلام والراحة نتسامح بعدها مع أشد اللحظات قسوة، ونسمو فوق عذابات السنين»، فلا مخلوق يقدر على الفرار من قبضة الموت، وعلينا أن نجد من النهايات ميلاداً لحياة جديدة تقول رحاب مخاطبة صفاً: «أنت شمس لحياتك، دعي نارك ترقص وتحيي ربيعك»، فلا

فائدة من أن تمضي أعمارنا «ونحن مكبلون بالخاوف والحسابات الجوفاء، وعندما نتوقف لننأمل رحلة الحياة نكتشف أننا عبرنا مسافات الحب والجمال بعيون مغمضة، وأن الزمن قد التهم أيامنا وألقى بنا مبكراً إلى الوحدة، كم تصبح الحياة ممتعة لو ندفن الأحزان ونشرع القلب للفرح ونحب حتى آخر رمق» (ص 111).

في الختام: رواية الريح ترفع أسماءها، للكاتبة التونسية رشيدة الشارني هي ضرب من الكتابة بالجمر، تناولت فيها مسألة يعرض عنها الكثيرون خوفاً وخجلاً، فعزت واقعا مأساويا صنعته بعض المعتقدات الدينية الساذجة و«الغبية» التي شوهدت الدين وتعاليمه، فكانت الكاتبة صوتاً لشخصياتها المكومة وصدى لتراويل الأمها، دون أن تغرق الرواية في نزعة سوداوية متشائمة، لأن رسالتها أن ترفع عن الواقع الرديء ما يتخفى خلف حجب من مأس، أملاً في أن تشرق شمس غد أفضل للوطن وللإنسانية جميعها، عسى أن «تنكأ الابتسامات الجراح، وتغسل النظرات المكلمة بالدموع عتمة الأعوام الحزينة، وتطل جدائل الشمس من خلف الغيوم فتومض الأشجار والزهور المنتشرة بسخاء في الساحة الرحبة»، (ص 161)، إيماناً بأن الحياة ليست معطى جاهزاً، وأن قدر الإنسان أن يحارب نوازع الضعف والاستسلام في ذاته من أجل أن ينحت وجوده بإرادته وكفاحه وحلمه بغد أفضل. ألم يرتفع صوت المغني التونسي محمد الجاموسي في نهاية الرواية تترنم رحاب بكلماته وهي في الطريق إلى مدينة بيزنسون، حيث تقيم صفاً مع أخيها كريستيان:

«معلوم، هذا معلوم

الدنيا يوم بيوم

نهير شمس لهابة

ونهار شوية غيوم

تطلع وتفتت سحابة

ووجه الله يدوم» (ص 154).

*باحث من تونس

الهوامش:

(*) رشيدة الشارني قاصة وروائية تونسية، لها إضافة إلى رواية الريح ترفع أسماءها (2024) مجموعتان قصصيتان: «الحياة على حافة الدنيا» (1989)، و«سهيل الأسئلة» (2000)، وصدرت لها أيضاً رواية «تراويل لآلامها» (2012)، وحصدت الكاتبة العديد من الجوائز الأدبية وطنياً ودولياً، منها جائزة زبيدة بشير في مناسبتين عام 1997 عن مجموعتها القصصية الأولى، وعام 2012 عن رواية تراويل لآلامها، كما حازت الجائزة الأولى للقصة القصيرة لإبداعات المرأة العربية في الأدب من أندية الفتيات بإمارة الشارقة عام 2000، وحصلت عام 2003 على لقب «أميرة العام» لكتاباتها المنصورة لقضايا المرأة.

(1) مجلة العرب الإلكترونية، الخميس 11 ديسمبر 2014.

(2) شعت، نصر جميل. في معنى الريح. عن منشورات مركز أوعاريت الثقافي، رام الله، 2005.

(3) نيازي، صلاح. رمزا الريح والظلام، مجلة إيلاف، أغسطس 2024.

«تمارين في الأسلوب» بين الدراما والسرد



فتحية حسين الحداد *

"تمارين في الأسلوب"، مسرحية حضرته في مهرجان أفينيون عام 2018، حيث جاء العرض كإنتاج درامي لنصوص سردية بالأصل. استمدت المسرحية مشاهدتها من مقاطع في كتاب "تمارين في الأسلوب، للشاعر والروائي والمسرحي الفرنسي ريموند كوين (1903 - 1976)، الذي صاغ في كتابه هذا 99 أسلوباً لسرد قصة واحدة.

القصة بسيطة وليست معقدة، يركب الراوي الباص، حيث يصادف شخصاً اعتمر قبعة، لكنه بشكل عام يبدو أنه لم يعتن جيداً بمظهره وأهمله هدامه بعض الشيء، ويحدث أن يتشاجر مع راكب آخر. تنتهي رحلة الراوي، لكنه بعد فترة وفي محطة قطار يصادف الشخص نفسه ثانية ومعه رفيق له يتحدث إليه

بين الدراما والقصة

اعتمد الكاتب التنوع في تناول التفاصيل، ومنها طول رقبة الشخصية وشكل القبعة التي يتغير وضعها على رأسه، وزر قميص يحدث أن يكون في غير موضعه، فيثير موقفاً يتطلب النصيحة من صديقه الذي قابله في المحطة. هذه التفاصيل البسيطة هي مفاتيح يستخدمها الكاتب لسرد القصة بتسعة وتسعين أسلوباً وتنوعاً ليلقي في إطار السرد والقصة. والسؤال الذي يطرح نفسه، كيف يمكن أن يستفيد المسرحي من قصة موجزة لا تتعدى الأسطر ولدت على سطور السرد لا في حضرة الدراما؟

التنوع.. لعبة التجديد

إذا استوعبنا أن المسرح لعبة، وأن هذه اللعبة البصرية مجالها خيال تتجدد فيها علاقة الكلمة بالفعل، وإذا أخذنا في الاعتبار أن لعبة المسرح وغيره من مجالات الإبداع تعتمد في جزء كبير منه على التفكير لتنضج التجربة بإعادة التركيب بين هدم وبناء، سنجد أن النص الذي تمت صياغته بتسعة وتسعين أسلوباً يشكل معيناً ووعاءاً لخيال المبدع؛ مسرحياً كان أو موسيقياً، والذي يجعل من التلذذ بالسرد خطوة تسبق اللعبة البصرية، ليعتبر بعدها مشاهد متنوعة على خشبة، حيث يتجسد الفنان روحاً في فضاء يحيل النص السردى إلى عمل مسرحي بصري.

وعودة إلى عرض مهرجان أفينيون دعونا نتساءل: كيف يستلهم المسرح من تنوع في أسلوب النصوص السردية؟ في الواقع أن هناك عدة مسرحيات فرنسية استفادت من كتاب ريموند كوين وتنويعاته السردية، فهناك عرض تم تقديمه في نيس عام 1991، حيث وضع المخرج شخصياته في مخفر الشرطة، ولكتابة المحضر يضطر المحقق إلى الاستماع إلى تفاصيل الحادثة من مجمل الشهود، ليكون لكل شاهد أسلوبه في رواية الحكاية.

المسرح أعطى مساحة أكبر في التنوع، حيث تتدخل شخصية السارد في طريقة رواية الحادثة، فالرجل الفلاح الذي يدخل مع زوجته له نمط في السرد، وشجار الرجل وامراته يصبح بمنزلة تقاطع في السرد يثير جانباً اجتماعياً في علاقة الاثنين، فيضفي على العرض حيوية قد تتفوق أحياناً على السرد المكتوب.

هناك أيضاً شخصية الرجل الذي يدخل بلباسه العربي، فهذا له نسخته ونمطه في السرد وإن تحدثت "الفرنسية"، والشاهد الذي تقصص شخصية كولومبو يسرد القصة من خلال تدخين السيجار وإيماءات تذكرنا بأسلوب المخبر. هناك أيضاً امرأتان تشتركان في الحوار، وهاتان قبل دخولهما المسرح أو مكتب المحقق تثيران الإزعاج وقد اختلفتا فيما بينهما، رغم اتفاقهما على الزى الذي يعكس مجالهما، وبالتالي قد يتدخل الابتذال في السرد.

في عرض آخر، نجد أن المخرج اكتفى بثلاث شخصيات بينهم امرأة، فيما يستعين بفن العرائس لتدخل في سير الحكاية وسردها. وهكذا يكون لكل فريق أسلوبه في العرض واللجوء إلى كتاب "التمارين"، فتختار فرقة موسيقية مكونة من ثلاث نساء التعامل مع النص السردى من خلال اللعب على الآلات المختلفة ليكون تباين الإيقاعات والنغمات نسخة موسيقية من التنوع في أسلوب التعبير.



وقد اختلف المخرجون المسرحيون في تناول كتاب "تمارين في الأسلوب"، وتعددت عروضهم في أكثر من مهرجان، لكنهم أخلصوا لجوهر الحكاية وتقنياتها التي اعتمدت التنوع. العرض الذي حضرته عام 2018، قدمه ثلاثة ممثلين من الرجال، استعانوا أيضاً بالموسيقى، واستثمروا في الحركة على الخشبة والرقص وتشكيلاته لخلق تنويعات لسرد الحكاية وتمثيلها. طافوا أيضاً بفن السيرك، ليذكرونا بالمهرج والضحك الذي قد يثيره بشكله وأدائه، فيما دفعوا بالجمهور ليكون مشاركاً في ختام العرض، لتنتهي المسرحية بتلاحم الممثلين بالجمهور وغناء الجميع على إيقاع مشترك. تلاحم يُشكل نقطة اختلاف جذرية بين سرد في رواية، وعرض بصري حي يلتقي فيه الفنان بالجمهور مباشرة.

هذه المسرحية وغيرها من عروض أتابعها من وقت لآخر خلال مهرجان أفينيون الفرنسي، تركت عندي انطباعاً بأهمية توجه المسرحيين إلى الاطلاع على مختلف المؤلفات، بما في ذلك السير الذاتية وحتى الكتب الإرشادية الخاصة بالتعليم والتدريب، لتؤكد قدرة المخرج المسرحي على الاستلham ومدى إمكانياته في تطوير مختلف النصوص.

المسرح والكراسات التعليمية

بحسب "ويكيبيديا"، فإن كتاب "تمارين الأسلوب" لريموند كوين، وتنويعاته الـ 99 السردية، التي نشرها عام 1947 تُذكر القارئ بدليل تعليمي صدر في 1512، وعنوانه Foundations of the Abundant Style، وهو عبارة عن كراستين ألفهما الهولندي Desiderius Erasmus تحت عنوان "أساسيات غزارة أو ثراء الأسلوب".

الكراستان وضعهما Erasmus لتعليم البلاغة وكيفية إعادة صياغة نصوص مؤلفة أو مكتوبة من قبل، فيما احتوت الكراسة الأولى 206 فصول قصيرة لطريقة معالجة نصوص مختلفة وتنسيقها في سياق موحد وجديد، من خلال التعرف إلى تقنيات الكتابة الخاصة بزخرفة الكلام وتزيينه، وأسلوب المبالغة والتنوع في اختيار المفردات.

يُذكر أن الفصل الثلاثين من الكراسة الأولى لاقى شهرة واسعة، بعد أن أدرج المؤلف 195 تنوعاً لجملة واحدة، فيما خصص الكراسة الثانية لتناول نماذج من أعمال كلاسيكية معتمداً المنهج الجدلي، والذي - كما يبدو - ترك أثره على أجيال متعاقبة في أوروبا، سواء في مجال السرد والدراما أو الموسيقى أيضاً.

* كاتبة من الكويت

تجسيد الواقع الاجتماعي والثقافي في الأدب الكويتي المعاصر



للفنان التشكيلي علاء حجازي (مجلة العربي)

د. محمود مصطفى حلمي*

شهد الأدب الكويتي تطوراً كبيراً ولافئاً في العقود الأخيرة، مما أضاف للأدب العربي لمسة مميزة تعكس الواقع الكويتي الاجتماعي والثقافي والسياسي. ويتميز الأدب الكويتي المعاصر بتنوعه وتعبيره عن القضايا المعاصرة، كما يُعد الأدباء الكويتيون من بين الأكثر تأثيراً في المشهد الأدبي العربي الحديث.

المهرجانات الدولية ويحصلون على جوائز عالمية، مما يساهم في نشر الثقافة الكويتية على مستوى عالمي.

من أبرز الأدباء الكويتيين المعاصرين

- **إسماعيل فهد إسماعيل:** يُعد الأديب والكاتب إسماعيل فهد إسماعيل من أبرز الروائيين في الكويت والخليج العربي، حصل على بكالوريوس الأدب والنقد من المعهد العالي للفنون المسرحية بدولة الكويت، ثم عمل في مجال التدريس وإدارة الوسائل التعليمية، كما أدار شركة للإنتاج الفني بعد ذلك. ويعتبر إسماعيل المؤسس الحقيقي لفن الرواية في الكويت، لكونه يمثل إحدى العلامات الروائية العربية المحسوبة في سماء فن الرواية، تميزت أعماله بالغوص في أعماق الشخصيات وتناول القضايا الاجتماعية والسياسية بعمق وواقعية. من أعماله المشهورة رواية "النيل يجري شمالاً"، التي تناولت الحرب الأهلية اللبنانية، و"يحدث أمس"، التي تناولت قضايا الهوية والانتماء. وقد أثرى إسماعيل الأدب الكويتي برواياته التي تعكس الصراع الداخلي للأفراد وسط التحولات الاجتماعية والسياسية.

- **ليلى العثمان:** هي واحدة من أبرز الأديبات المعاصرات في الكويت، حيث تناولت في أعمالها قضايا المرأة والمجتمع، متحدثة بجرأة عن التحديات التي تواجهها المرأة في المجتمع الكويتي، وقد استطاعت، العثمان من خلال أسلوبها الأدبي المميز، أن تترك بصمة واضحة في الأدب الكويتي والعربي. حصلت على العديد من الجوائز التقديرية والأدبية، ولها العديد من الروايات والقصص التي ترجمت إلى عدة لغات. من أشهر أعمالها رواية "المرأة والقطعة"، والمجموعة القصصية "الحب له صور"، كما اختيرت روايتها "وسمية تخرج من البحر" ضمن مئة رواية عربية في القرن العشرين.

- **سعود السنوسي:** برز السنوسي كواحد من الأدباء الكويتيين الذين حققوا شهرة واسعة على مستوى العالم العربي في سن مبكرة، وفازت روايته "ساق البامبو" بجائزة البوكر العربية عام 2013، وقد اختيرت من بين 133 رواية مُقدمة لنيل الجائزة. تناولت الرواية قضية الهوية والاغتراب، من خلال قصة شاب ولد من أم فلسطينية وأب كويتي. تمكن السنوسي من خلال هذه الرواية من طرح أسئلة عميقة حول الانتماء والهوية، وقد حظيت باهتمام نقدي واسع. وقد حاز جائزة الروائية ليلى العثمان لإبداع الشباب بالقصة والرواية في دورتها الرابعة عن رواية "سجين المرايا" (2010).

- **بثينة العيسى:** كاتبة وروائية كويتية من مواليد 1982، معروفة بأعمالها التي تتناول قضايا اجتماعية ونفسية بعمق، من أشهر أعمالها "عروس المطر"، و"كبرت ونسيت أن أنسى"، حيث تركز على تجارب المرأة والصراعات الداخلية التي تواجهها، كما أنها عضوة في رابطة أدباء الكويت وحازت جائزة الدولة التشجيعية عن روايتها "سعار"، التي صدرت عام 2005، ونالت المركز الأول في مسابقة هيئة الشباب والرياضة عام 2003، فرع القصة القصيرة.

- **سليمان الشطي:** كاتب وأكاديمي كويتي له إسهامات عديدة في النقد الأدبي والروائي، من أشهر أعماله "رائحة البحر"، و"الزمن الآتي"، حيث يركز على تحليل الأعمال الأدبية وتسلط الضوء على جماليات النص الأدبي الكويتي، فاز أيضاً بالعديد من الجوائز، منها جائزة الدولة التقديرية من دولة الكويت.

وإضافة إلى هؤلاء، هناك العديد من الكتاب والشعراء الكويتيين الآخرين الذين أثروا الأدب الكويتي المعاصر، وتركوا بصمات واضحة في المشهد الأدبي العربي وفي النهاية، نلاحظ أن الأدب الكويتي المعاصر يعكس التطور الثقافي والاجتماعي في الكويت، ويقدم نظرة فريدة ومميزة عن الحياة في هذا البلد، من خلال أعمال الأدباء الكويتيين المعاصرين، ويمكننا التعرف على قضايا الهوية والانتماء، وتحديات الحياة الاجتماعية، والتغيرات السياسية والثقافية التي تمر بها الكويت.

إن استمرار دعم الأدب والأدباء في الكويت من قبل القيادة الكويتية الرشيدة يساهم في تعزيز الثقافة العربية، وإبراز التنوع الأدبي في المنطقة العربية بشكل عام، لذا صار الأدب الكويتي جزءاً لا يتجزأ من الأدب العربي، كما يساهم بشكل فعال ومؤثر في نقل تجارب وأصوات جديدة إلى الساحة الأدبية العالمية.

* باحث من مصر

بداية الأدب الكويتي وتطوره

بدأت الحركة الأدبية والثقافية في الكويت قديماً في فترة حكم الشيخ مبارك الصباح، الذي أسست في عهده المدرسة المباركية والجمعية الخيرية، ثم تلاه عهد الشيخ أحمد الجابر الصباح، حيث تم افتتاح صرحين علمي وأدبي، بعد المدرسة الأحمدية، هما المكتبة الأهلية والنادي الأدبي. وتلك كانت بداية النهضة الأدبية في الكويت.

اشتعلت ذروة الازدهار في الأدب الكويتي الحديث في منتصف القرن العشرين، حيث تأثر النشاط الأدبي الكويتي آنذاك بالحركات الأدبية العالمية والعربية. وازدهر الأدب الكويتي بعد استقلال الكويت عام 1961، مما أدى إلى تنوع الأنماط الأدبية وظهور جيل جديد من الأدباء الذين عبروا عن الهوية الوطنية والقضايا الاجتماعية، كما شهدت فترتنا السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي طفرة في الإنتاج الأدبي، حيث تم نشر العديد من الروايات والمجموعات الشعرية والقصص القصيرة التي لاقت استحساناً واسعاً في الأوساط الأدبية العربية والعالمية كذلك.

تأثير الأدب الكويتي المعاصر

أثر الأدب الكويتي المعاصر بشكل كبير في الأدب العربي، حيث قدّم رؤى جديدة ومختلفة عن الحياة في الخليج العربي تحديداً، وتناول الأدباء الكويتيون في كتاباتهم المختلفة القضايا الاجتماعية والسياسية والثقافية بطرق مبتكرة، مما أضاف للأدب العربي بُعداً جديداً وأغناه بالتجارب الإنسانية المتنوعة، وبذلك فإن تأثير الأدب الكويتي يُعد تأثيراً بالغاً محلياً وعربياً ودولياً.

كما ساهمت المؤسسات الثقافية في الكويت في دعم الأدب الكويتي وتطوره، من خلال دعم الكتاب والشعراء وإقامة الفعاليات الأدبية والمعارض الثقافية. وإضافة إلى ذلك، أدت المجلات الأدبية الكويتية والصحف دوراً كبيراً في نشر الأعمال الأدبية وتقديم النقد الأدبي الذي ساهم بشكل ملحوظ في تطوير الحركة الأدبية بالكويت.

قضايا تناولها

- **قضايا المرأة:** أحد الجوانب البارزة في الأدب الكويتي المعاصر هو تناول العميق والشجاع لقضايا المرأة، فالكاتبات، مثل ليلى العثمان وبثينة العيسى، قدّمن صوراً متعددة الأبعاد للمرأة الكويتية، مسلطات الضوء على التحديات التي تواجهها في مجتمع محافظ، كما صدرت العديد من الروايات التي تقدم نقداً اجتماعياً صريحاً وتدعو إلى التفكير في التغيرات الاجتماعية المطلوبة لمواجهة تحديات العصر، مع المحافظة على التراث الأصيل الذي يُعد جزءاً من الهوية الثقافية الكويتية.

- **الهوية والانتماء:** في مجتمع يعاني تحولات سريعة وعولمة متزايدة، يتناول الأدب الكويتي قضايا الهوية والانتماء بعمق. رواية "ساق البامبو" لسعود السنوسي، على سبيل المثال، تستكشف الهوية المزدوجة والنزاعات الداخلية التي تنشأ من الاغتراب الثقافي والاجتماعي.

- **التحديات الشبابية:** يعكس الأدب الكويتي أيضاً التحديات التي يواجهها الشباب في الكويت، مثل التعليم، وضغوط المجتمع، والتطور الحياتي السريع، من خلال سرد قصص واقعية ومؤثرة، كما يساهم الأدب في فتح نقاشات مهمة حول مستقبل الشباب الكويتيين وأدوارهم الفعالة في المجتمع.

- **الحفاظ على التراث:** يؤدي الأدب الكويتي دوراً مهماً في الحفاظ على التراث الثقافي والتاريخي للبلاد، من خلال إعادة سرد الحكايات الشعبية والتقاليد، كما يساهم الأدباء في نقل هذا التراث للأجيال الجديدة.

- **تطوير اللغة الأدبية:** ساهم الأدب الكويتي المعاصر في تطوير اللغة الأدبية العربية، من خلال استخدام أساليب سردية مبتكرة وتقديم مفردات جديدة تعكس التحولات الثقافية، كما أن الأدباء الكويتيين يجمعون بين الأصالة والحدثة، مما يثري اللغة الأدبية ويعزز من تنوعها.

- **التفاعل مع الأدب العالمي:** بفضل العولمة والتقنيات الحديثة، أصبح الأدب الكويتي يتفاعل بشكل أكبر مع الأدب العالمي، ويشارك الأدباء الكويتيون في



أدب الذكاء الاصطناعي..

هل سيكون شات جي بي تي
مؤلف روايتك المفضلة القادمة؟

جينيفر بيكر *

ترجمتها إلى "العربية": أميرة الوصف

في بداية المطاف، جدر بنا القول إن تلك الطفرة الهائلة التي شهدناها مجال الأدب المكتوب بواسطة الذكاء الاصطناعي أدت بدورها إلى إتاحة نماذج إبداعية جاهزة عديدة متنوعة؛ سواء في ميدان قصص الأطفال، أو روايات الخيال العلمي أو السير الذاتية أو الروايات الاجتماعية الرومانسية، وهنا يأتي السؤال الأبرز، وهو أنه إذا كان بمقدورنا الحصول على مؤلفات كاملة أو أعمال مستقلة هائلة على هذا النحو فقط من خلال عملية تلقين جيدة نتمكن من خلالها من توجيه خاصية الذكاء الاصطناعي للعمل بكفاءة وجود أكبر، فكيف سيتم التعامل إذن مع الكتب في المستقبل؟ وما هو تصورنا لها؟ وأيضا نرى ما هو تأثير الشات جي بي تي على مفهومنا لمصطلح الأدب؟

ففي رواية "سيدة المناهات" للكاتب كارل شرودر، الصادرة عام 2005، والتي تنتمي لأدب الخيال العلمي، يكشف الكاتب عن قدرة الذكاء الاصطناعي على تأليف ونشر ملايين القصص المكتوبة في أنحاء العالم كافة. هذا الكم الهائل الاستثنائي من الأعمال الأدبية الإبداعية التي لا يتمكن المرء من قراءتها كلها في حياة واحدة! فهي مجموعة مذهشة ضخمة من القصص المصاغة بدقة واحترافية لتناسب كل أذواق البشر المتنوعة، وكذلك منذ أن صدرت رواية "شات جي بي تي" في نوفمبر 2022 لم يعد هذا السيناريو على وجه التحديد أمراً مُستبعداً، فأن يتولى الذكاء الاصطناعي دوراً ريادياً ملموساً ليس توقعاً غير وارد في المستقبل القريب، فقد نتج عن عملية انتشار نماذج التلقين اللغوية زيادة هائلة بالفعل في مجال المحتوى المكتوب الذي تولّفه الآلات، هذا الميدان الذي بات يشمل النصوص الأدبية؛ سواء تلك التي تخص الكتب الأكاديمية أو أعمال الخيال العلمي أو الجريمة أو كتب الأطفال واليافعين.

ويجدر بنا الإشارة إلى أن قطاع منصات النشر الذاتي هو أحد أبرز قطاعات السوق المتأثرة بشكل مباشر بعالم منشورات الذكاء الاصطناعي، فكما نعلم جميعاً أن كل الناشرين والكتاب يُعانون، على حد سواء، التضييقات التي تُمارسها تلك القبضة الاقتصادية الخانقة، على الرغم من أن صناعة الكتاب نفسها تشكو من تراجع عدد القراء منذ فترة زمنية طويلة قبل وجود هذا الكم من الإنتاج الأدبي المُعزّز بقوة الذكاء الاصطناعي، وبناءً على ما سبق، فإن دور النشر لم تعد في منافسة مع بعضها البعض فحسب، بل أصبحت تواجه تحدياً متزايداً من جانب أشكال جديدة لما يُعرف بأساليب الوساطة الأدبية أو منصات النشر الرقمية التي تمكنت من تغيير خريطة الترويج للأدب، وخلقت عروضا منخفضة مغرية للمؤلفين المستقلين حول العالم.

ففي عصر منصات أمازون وجود ريدز، يواصل القراء التعليق على مزيد من تلك الكتب التي يعكفون على قراءتها، كما أنهم يحافظون على عادة تقييمها، ولهذا السبب على وجه التحديد تتأثر الأعمال الأدبية الحالية المطروحة حديثاً بتلك المتطلبات حتى تتمكن من ضمان نجاحها في سوق النشر فيما بعد، فلطالما كان التحليل الخوارزمي للبيانات بمنزلة الوقود الذي يُحرّك تلك المنصات، كما أن تقنيات الذكاء الاصطناعي ستعمل باستمرار على تحسين وصلل هذا التقييم الخاص بالبيانات المشار إليها، ويمكننا القول إن تحليل البيانات عبر الخوارزميات قد أصبح إحدى الاستراتيجيات المُطبقة في الصناعة الأدبية أيضاً، أضف إلى ذلك إلى أن استخدام الذكاء الاصطناعي باعتباره أداة جديدة قادرة على إنتاج مادة إبداعية بطريقة تلقائية طبيعية هو تحدٍ من نوع آخر، إذ إن نجاح تلك المسألة سيؤدي بدوره إلى تغيير هائل في مسألة تأليف الكتب، كما أن استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي في الكتابة يأخذ هذا المجال المُحدد إلى عوالم التيار الرقمي السائد، وهذا الأمر يتضح بدوره في دمج الذكاء الاصطناعي في برامج معالجة النصوص اللغوية، فتلك البرامج، على الرغم من عدم بلوغها مرحلة متقدمة من الكفاءة والجودة، فإنها تشارك، ولو بنسبة ضئيلة، في إنتاج مزيدٍ من النصوص الأدبية

وتحسين مستواها تدريجياً، ومع ذلك كله، فإن طريقة استخدام شات جي بي تي كأداة رئيسة في الكتابة الإبداعية لنا كبشر بمنزلة موضوع النقاش الساخن في الفترة الزمنية الحالية، فقد تصدرت تلك المسألة أبرز عناوين الصحف العالمية، كما أعرب الكثير من المؤلفين عن استعدهم للاستفادة من الذكاء الاصطناعي في عملياتهم الإبداعية الخاصة، مثل الكاتبة اليابانية ري كودان، مؤلفة رواية "طوكيو"، التي حصلت على جائزة أكوتاغاوا اليابانية للكتاب الشباب عام 2023، والتي استخدمت الذكاء الاصطناعي في كتابتها لهذا العمل الذي نال إشادة جماهيرية ونقدية.

ورغم كل تلك النقلة النوعية التي أحدثها الذكاء الاصطناعي في هذا المجال الإبداعي، فإن الشك بدأ يساورنا فيما يتعلق بوجود تلك النماذج اللغوية الإبداعية الجاهزة، فبات سؤالنا الأزلي: نرى هل هي مُميّزة حقاً؟ هل يمكننا أن نثق بتلك النماذج غير الإنسانية؟ وإذا كان الأمر كذلك، فإين تكمن إذن خصوصية العلوم الإنسانية إذا كان الشات جي بي تي قادراً على الوصول إلى المستويات الأدبية العالية نفسها التي يصل إليها الإنسان المُبدع؟!

السرد القصصي المُتوقع

ولعل أحد أكبر التحديات التي تُواجه العاملين على تطوير أنظمة الذكاء الاصطناعي المستخدمة في مجال الكتابة الإبداعية، تلك التي تتعلق بكيفية إزالة عامل "الغموض" عن النماذج اللغوية الجاهزة، وذلك بغية كشف أوجه القصور الكامنة فيها من أجل فهم خلفيتها ووظائفها التقنية بوضوح أكبر، إذ إن إنتاج نماذج الذكاء الاصطناعي اللغوية تم بفضل هذا الكم الهائل من البيانات والمداخلات التي تستخدم هندسة التلقين الفوري الدقيقة من جانب الأفراد، ولهذا فعلى الرغم من مميزات خاصية شات جي بي تي، فإنها لا تمتلك في الفترة الراهنة معرفة عامة أو مُجسدة، لكنها تعتمد على نظام آلي مُحدد يتعرّف على أنماط اللغة واستخدامها ببراعة للحصول على نصوص جديدة مبتكرة.

وعلى الرغم من أن تلك النماذج اللغوية التي يعتمد عليها الذكاء الاصطناعي تقدم بدورها مزيداً من المساعدة في مجال تحسين مستوى الكتابة، أو خلق القصص والروايات بشكل تدريجي، فإنه لا تزال هناك مشكلات قانونية تتعلق بحقوق الطبع والنشر في هذا الميدان، فخلال السنوات الماضية رفع عدد من الجهات والمؤسسات الرسمية دعاوى قضائية فيما يتعلق بهذا الخصوص، فعلى سبيل المثال رفعت صحيفة نيويورك تايمز دعوى قضائية عام 2023 ضد شركة Open AI بخصوص حقوق الملكية الفكرية.

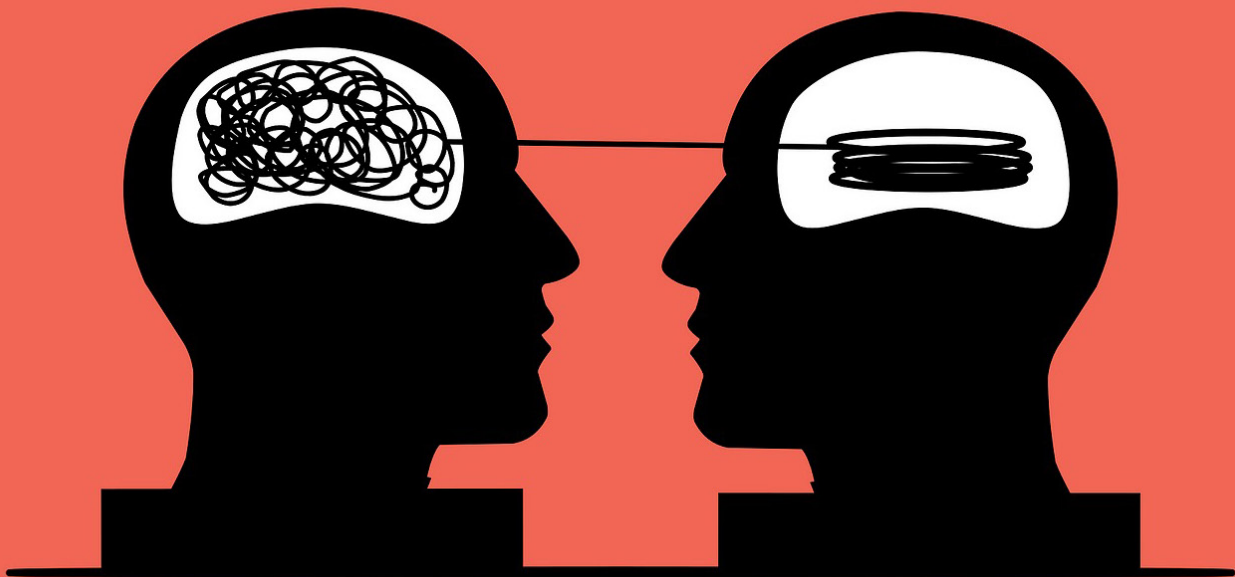
ورغم التحديات والانتقادات كافة التي تنالها موجة الذكاء الاصطناعي واستخدامه في مجالات الكتابة الإبداعية، فإن السنوات الأخيرة شهدت تطوراً كبيراً فيما يخص تلك الأنظمة اللغوية الذكية التي تعمل على سرد القصص وتوسيع آفاق الحوار الأدبي، ففي السابق لم يكن شات جي بي تي قادراً على تأليف قصة كاملة بشكل متكامل، لكنه امتلك تلك الخاصية الآن بعد إخضاعه لمزيد من التحسينات التي تخضع علم التلقين أو الهندسة الفورية للبيانات والمداخلات، فقد أصبح شات جي بي تي قادراً على خلق عمل قصصي متماسك من حيث البناء، وكذلك بات بمقدوره تقديم مشهد تفصيلي بناءً على تلك البيانات التي يقوم الفرد بإدخالها لتوجيهه بشكل سليم، ومع هذا كله لا تزال جودة النتائج موضع النقاش العام، فنحن نحصل على نتائج أفضل كلما شُيخ تلك الأنظمة الذكية بأن تعمل باستقلالية أكبر، وكلما كانت عبارات التلقين المستخدمة أقصر، فحينها كانت النتائج الشاملة أفضل على كل المستويات.

* جينيفر بيكر

مؤلفة وباحثة ومُحللة في الشأن الثقافي العام تقيم في برلين، تخصصت في الكتابة عن الظواهر الرقمية والقضايا المعاصرة والثقافة الشعبية

بين ما نكسبه في ترجمة الشعر وما نفقده

ورقة بحثية تقارن ترجمات الشعر
بنموذج من الشعر التركي



نسبية القصار *

بين من يُحيل عجزَ ترجمة الشعر إلى الاستطاعة بأن يرحب في الشعر المترجم أيًا كانت جودة الترجمة، وبين من يأخذ بما قاله الجاحظ في كتابه الحيوان: "والشعر لا يُستطاع أن يُترجم، ولا يجوزُ عليه النقل، ومتى حُوّل قطعَ نظمُهُ، وبطلَ وزْنُهُ، وذهب حسَنُهُ، أقف معكم في ورقة تبحث عما نفقده في ترجمة الشعر وما نكسبه أيضًا، والعجب أننا ونحن نتباحث في هذا الموضوع، يوجد من يترجم الشعر الآن، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن الترجمة الشعرية قائمة ومستمرة، رغم قصورها وعسرها.

فجد أقرب مثال على ذلك رباعيات الخيام، فقد تعددت ترجماتها من "الفارسية" مباشرة أو عبر لغات وسيطة، وترجمت إلى "العربية" تسع مرات، وكان لام كلثوم الفضل في شهرة ترجمة أحمد رامى للرباعيات، الذي اجتهد قبلها في تعلم "الفارسية" حتى يكون أكثر وفاءً للغة الأصلية للخيام.

ونتساءل الآن: أيهما أسوأ: ترجمة شعرية غير مكتملة، أم غياب قصيدة الآخر عنّا؟ وأجيب السؤال بسؤال: ماذا لو لم نعرف الخيام، تي إس إليوت، طاغور، نازم حكمت، ونيرودا؟!

أنا في صف الإنسان الفضولي، المملوء برغبته لرؤية العالم من منظور معرفي جمالي ثقافي مختلف عن موروته، وقد لا يتأتى ذلك إلا عبر الفن والموسيقى اللذين يجتمعان في الشعر، ولعل من هنا تأتي الحاجة إلى ترجمة الشعر، بجانب إلى أنها تُعد حركة معرفية ثقافية حضارية للأمم.

وتباعاً، أجدني كذلك في صف الترجمة الشعرية الناقصة، لماذا؟ لأنها في حد ذاتها محاولة جادة لإعادة خلق القصيدة من جديد، وكنت أزدري - في نفسي - من يقلل من شأن الترجمة بوصفها خيانة، إلى أن وجدت بورخيس في كتابه "صناعة الشعر"، يقف بصفي ويزدري معي ذلك بقوله: إن وصف الخيانة قد يحمل بذرة من الحقيقة، لكنه خرافة متجذرة الانتشار، فقد يفوق النص المترجم النص الأصلي، أما المترجم د. سعد البازعي فقد لطف هذه الخيانة بقوله: إنها الخيانة الرائعة.

ونأتي الآن إلى عيوب ونقص الترجمات الشعرية، من أين تأتي؟

1. قصور ثقافة المترجم، إما ثقافته بموروته، أو ثقافته بموروث الوطن الأصلي للقصيدة التي ترجم منها.

2. أسلوب المترجم الضعيف، فاقد العمق اللغوي بأبعاده الدلالية والتصويرية والنحوية.

3. تغليب جانب على آخر، مثل تغليب الموسيقى على الأسلوب، أو تغليب المعنى على المبنى.

4. شعرية المترجم الفقيرة، فلا بُد لمترجم الشعر أن يحمل في طياته بذوره الشعرية

ويستبين ميله للشعر عبر ترجمته الشعرية.

5. بعض ما يحمله الشعر من توريثات وإيقاع وموسيقى خاصة بلغة دون لغة أخرى، تجعل ترجمة الشعر تستعصي أحياناً، ولا بأس أن نقبل بذلك! لكن لا نقبل ألا يحاول المترجم مرة تلو الأخرى، ليخوض التجربة ويتعلم منها ولأجلها.

وأعرج الآن إلى مثال من الشعر التركي الحديث، لنقارن بين مترجميه:

القصيدة للشاعر أورهان ولي، الذي توفي عام 1950، وهو الملقب بـ "فتى إسطنبول المشاكس"، لأنه أول من تبنى تيار "الغريب"، الذي يدعو إلى التحرر من العروض والقافية، قصيدته بعنوان: استمع إلى إسطنبول بعينين مغمضتين

;İstanbul'u dinliyorum, gözlerim kapalı

;Kuşlar geçiyor, derken

.Yükseklerden, sürü sürü, çığlık çığlık

;Ağlar çekiliyor dalyanlarda

;Bir kadının suya değişiyor ayakları

.İstanbul'u dinliyorum, gözlerim kapalı

ترجمة د. أسامة أمين:

أُصِيتُ لِإِسْطَنْبُولِ وَعَيُونِي مُغْلَقَةٌ

تَمْزُ طَيُورٌ.. تَعْبُرُ السَّمَاءَ

تُطْلِقُ صِيحَاتِهَا فِي الْأَعَالِي

سَرَبًا.. سَرَبًا

يَسْحَبُ الصَيَادُونَ شَبَاكَهُمْ

سَرِيغًا.. سَرِيغًا

تَمْشُ قَدَمُ امْرَأَةٍ وَجْهَ الْمَاءِ وَتَمْضِي

وَأُصِيتُ لِإِسْطَنْبُولِ

عَيُونِي مُغْلَقَةٌ

ترجمة الشاعر محمد حلمي الريشة:

أَسْتَمِعُ إِلَى اسْطَنْبُولِ بِعَيْنَيْنِ مُغْمَضَتَيْنِ

يَعْبُرُ طَائِرٌ،

وَتَعْبُرُ طَيُورٌ، تَصْرُخُ وَتَصْرُخُ،

شَبَكَاتُ صَيْدِ الْأَسْمَاكِ يَجْرِي سَحْبُهَا إِلَى

دَاخِلِ سِيَاكِ صَيْدِ الْأَسْمَاكِ،

وَإِضْبَعُ قَدَمِ امْرَأَةٍ يَلْعَبُ بِالْمَاءِ،

وَأَنَا أَسْتَمِعُ إِلَى اسْطَنْبُولِ بِعَيْنَيْنِ مُغْمَضَتَيْنِ

نستطيع ملاحظة الفرق بين الترجمتين،

قد يميل أحدهم إلى الترجمة الأولى والآخر إلى الثانية، لكن نجد في الترجمة الأولى التي للدكتور أسامة أمين، أنه ركز على الموسيقى الشعرية، فالشاعر أورهان عندما قال:

"Yükseklerden, sürü sürü, çığlık çığlık"

قابلها د. أسامة

"تطلق صيحاتها في الأعالي

سرباً.. سرباً

يسحب الصيادون شباكهم

سريغاً.. سريغاً"

أما الريشة فقال:

"تعبير طيور تصرخ وتصرخ

شَبَكَاتُ صَيْدِ الْأَسْمَاكِ يَجْرِي سَحْبُهَا إِلَى
دَاخِلِ سِيَاكِ صَيْدِ الْأَسْمَاكِ"

نستطيع لمس الاختلاف، ونستطيع كذلك معرفة الترجمة الريشقة من غيرها، د. أسامة كان دقيقاً في اختياره للكلمات وللصور أيضاً، حتى الإيقاع الموسيقي نستطيع الإحساس به.

أما الأستاذ الريشة، صحيح أنه لم يتبنّ الموسيقى الإيقاعية للنص، ولم يتحرّ دقة المعنى أحياناً، بل بعض المقاطع تجدها تحولت إلى نثر أكثر من كونها شعراً، لكنه حاول قدر الإمكان إشباع النص بطاقة من الدلالة والإيحاء.

ولأدل على ذلك، أورهان عندما قال

"Bir kadının suya değişiyor ayakları"

كان يعني حرفياً أن امرأة تمسّ الماء بقدميها
ترجمها الريشة:

"وَإِضْبَعُ قَدَمِ امْرَأَةٍ يَلْعَبُ بِالْمَاءِ"

نعم لم يكن دقيقاً، لكنه صنع مشهداً مشبعاً
بالإيحاء في سطر شعري.

ود. أسامة صنع المشهد نفسه، لكن بدقة أكثر، فقال:

"تَمْشُ قَدَمُ امْرَأَةٍ وَجْهَ الْمَاءِ وَتَمْضِي"

يبقى الجمال أمراً نسبياً، وأنا لا أميل لمترجم دون آخر، إنما بسطّ لكم النص الأصلي، وحاولت كشف اختلافات الترجمتين لكم، وكيف يستطيع مترجم الشعر أن يُمْكِنَ رؤيته الشعرية في القصيدة التي يترجمها على اختلاف الدلالات المعنوية.

الآن هل نقول إن هذه الترجمة خاطئة والأخرى صحيحة؟ أم الأجدر أننا نرحب بكل المترجمين؟ فيكفي للمترجم أن يكون محاولاً محاولة شريفة جادة في نقل النص من وطنه الأصلي إلى المتلقي الذي لم تكتب له القصيدة أساساً.

نعم الترجمة الشعرية عصية، ولن يجيدها إلا الجسور المتجدد والمرحب بالتقويم.

وكانت هذه الورقة تبحث عما نكسبه في ترجمة الشعر وما نفقده، بنموذج من الشعر التركي.

* كاتبة - رئيسة بيت الترجمة

في رابطة الأدباء الكويتيين

المصادر:

- كتاب الحيوان، الجاحظ
- كتاب صناعة الشعر، بورخيس
- ترجمة الشاعر محمد حلمي الريشة: ديوان الغائبين - أورهان ولي - تركيا - 1914 - 1950 الأنطولوجيا (alantologia.com)
- ترجمة د. أسامة أمين: "يُهديني مدينة.. يُهديني إسطنبول" - ترجمات عربية لقصائد تركية (alaraby.co.uk).
- مقابلة الأديب المترجم سعد البازعي: فيلم كامل حول الترجمة - للترجمة سبب في وصول الشعوب لهذا المستوى - د. سعد البازعي 2021 (youtube.com).

حسبَ توقيت القلب



جاسم الصحيح

بمسيرة امتدت لأكثر من أربعة وثلاثين عاماً، وعبر خمسة عشر ديواناً شعرياً واشتغالات منقحة وقصائد مزيدة، تمكن الشاعر السعودي جاسم الصحيح من ترسيخ بصمته الشعرية ونيل الكثير من الجوائز الأدبية العربية، وآخرها جائزة المركز الأول في برنامج «المعلقة» من وزارة الثقافة السعودية في فبراير الماضي، وخصّ الشاعر مجلة البيان بهذه القصيدة:

للفنانة التشكيلية مها خالد - لبنان

الساعة الآن: اثنتان وموسم
ما زال في أحلامنا يتبرعم
لي بذرة حملت هواك وأقبلت
لكن تأخر في خطاك، الموسم
لا تحرميني أن أبوخ بأنني
للحب مفردة، وأنت المعجم

لا تحرميني أن أكون سبيكة
ما دام فيك من الصباية منجم
فهواك صار دماً؛ وصرحت أجسه
عبر العروق كتيبة تتقدم
حسبي من الطرقات أن نمشي يد
بيد، كلاًنا بالحنين ملغم
نطوي الصراط المستقيم، وآخر
«لا مستقيم»، ف«جثة» و«جهنم»
فلقد نغمنا زبانية الهوى
بالد ما ناز الصباية نغم

هي لا تميل إلى عناقني، إنما
منها يعانقني الوجود الأعظم
لم تتخذ مني «كليم» فؤادها
لترق لي، ويلين منها المعصم
وانا شغقت بها؛ وطبع «زليخة»
ألا تسالم من لها يستسلم

الساعة الآن: اثنتان وحيرة
كبرى، أكاد إزاءها أتصنم
يا رحلة المعنى ببحر قصيدي
أغوى سفينتنا المجاز المبهم
لا تسليمني للضباب؛ فلهفتي
بنت الحقيقة، وانتظارك طلسم
إن خائني فيك الكلام، وأجهضت
لغتي، فإن مشاعري تتكلم
فأراك في أحلى القصائد متها
وأرى سواك (لزوج ما لا يلزم)
في الحب.. لا يخشى لسان أبكم
لكنما يخشى الشعور الأبكم

الوقت يضبطه فؤادي المغمم
فالساعة الآن: اثنتان و«مريم»
الساعة الآن: اثنتان ووجهها
من كل ناحية علي يسلم
والليل يقطف كوكباً من صوتها
فكلأها بالنيرات مغمم
والشعر يزعم أن كل بحوره
تبنى على ضجعاتها وتنظم
وفمي يزخر ف نفسة لجوارها
حتى يكاد على فمي ينمو فم

الساعة الآن: اثنتان و«مريم»
وعيونها وجبينها والمبسم
وانا أعبد لها جراحي كلما
جاءت إلي كما يجيء البلسم
وأرى ملامحها.. أرى اللغة التي
كانت تسير إلي ما لا يفهم
عبتاً أمد سواعدي لعناقها
فإذا السواعد في المسافة عوم